كنيسة مارجرجس بأسبورتنج



المحاربات الروحية

الكتاب الأول

ثيوفان الناسك

القمص

لوقا سيداروس

Dr. Emad Barsoum
General Practioner

المحاربات الروحية

ثيوفان الناسك (١)

الكتاب الأول

---

(١) سجلها الأب نيقوديموس من جبل آثوس باليونان بتصرف وتوسع

بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين

✢ فى سر المعمودية المقدسة نلنا نعمة الميلاد الجديد من الماء والروح حسب وعد الرب ، وفى سر المسحة المقدسة خُتمت أعضاؤنا بختم الروح القدس للتكريس وأصبحت كل قوى النفس والجسد معاً مهيأة للعمل حسب كلام الرسول بولس **«مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها» (أف ٢ : ١٠) .**

ودخلنا فى شركة مع المسيح ، شركة آلامه وشركة موته وشركة قيامته ... وأصبحنا لا نملك شيئاً حتى من أعضائنا الجسدية ... « لأنكم لستم لأنفسكم » .... وبالجملة صرنا « هياكل الله» وأصبح الروح القدس هو الساكن الوحيد « للهيكل» وصاحبه ... ومن هذه اللحظة صارت هياكل الله التى هى نحن معرضة لهجمات العدو الشرير يريد أن يفسد هياكل الله ... والله هو وحده المدافع عن هيكله الخاص ، وهو فى كل حين يقول **« بيتي بيت الصلاة» .**

ويعتبر اضطهاد الهيكل اضطهاداً لشخصه المبارك **«لماذا تضطهدني ؟» .**

✢ لنعلم جيداً أن الله هو المالك وهو المدافع ... هو الذى

يملك علينا وهو الذى يدافع عنا « **الرب يحارب عنكم وأنتم تصمتون** » « **الله هو العامل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة** » .. لا نقل أننا نعمل بل نقل أن الله يعمل بنا مسرته وتصبح أصوامنا وصلواتنا وصدقاتنا وكرازتنا ... ليست أعمال برنا الذاتى بل أعمال أبينا الذى فى السموات وثمر الروح القدس العامل فينا .

ونحن نسهر لئلا يسرق أحد اكليلنا ولئلا ندخل فى التجارب حسب أمـر ربنا يسوع ونكون وكلاء أمناء على نعمة الله التى فينا .

العدو وطبيعة الحرب :

علمنا ربنا أن نطلب .... لا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من (العدو) الشرير ، والعدو الذى يحاربنا دائماً إنما يحارب الله الساكن فينا ويقاومه .

– فالعدو لا ينعس بل يحارب بلا انقطاع ولكن الله أيضاً لا ينسانا أثناء الحرب « إن نسيت الأم الرضيع الرب لا ينسى» .

– والعدو يحارب كل يوم والرب يقول « أنا معكم كل الأيام والى انقضاء الدهر» .

- والعدو يكذب ويضلل وربنا يسوع يبدد أفكار الكذب والضلال بالحق .

- العدو الشرير لا يعرف اليأس فى قتاله ، يقاتل كل أحد ، حتى القديسين ويقاتل الى النفس الأخير ويقص تاريخ القديسين أنه قبل نياحة القديس مقاريوس الكبير بثلاثة أيام جاء ليحاربه كجولة أخيرة ولكن القديس المتمرن على الحرب والقتال قد غلبه .

هو يحارب فى أثناء قوتنا بأن يسرى الينا أننا أدركنا وصرنا كاملين وفى أثناء ضعفنا باليأس من الحياة ومن الجهاد ومن الوصول .... إن استرحنا عن حربه فى الجسد يحاربنا بالفكر وإن وجدنا فى وسط الناس يحاربنا ، وإن كنا فى خلوة يحاربنا أيضاً ... فى كل مكان هو يجول ملتمساً من يبتلعه .

لكننا فى حربنا لا نخاف ولا نجزع بل نثق بالذى يدافع عنا وفينا وبنا رئيس خلاصنا أنه قد غلب العدو وأنه يغلب أيضاً .

✣ وهذا الكتاب الذى بين يديك أيها الأخ الحبيب هو بمثابة القاء الضوء على معارك العدو الكثيرة لكى لا نجهل أفكاره ولكى نكتشف فخاخه التى يخفيها ولكى نعلم كيف ننجو منها ومن سهام الشرير الملتهبة ناراً ... ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب كأخبار سارة بانتصار الصفوف الأمامية التى سبقتنا لكى نتشدد

ونتقوى ولكى لا نكل فى الجهاد ولا نخز فى الطريق ، والقديسون بالنسبة لنا هم المحاربون القدامى الأشداء فى الحروب التى قادهم فيها ربنا بكل نصرة ، والذى كللهم بأكاليل لا تذبل هو إلهنا الذى يعطى أيضاً ليس لهم فى فقط بل ولجميع الذين يغلبون لأنه لا يكلل أحد إن لم يجاهد قانونياً .

✢ نشكر إلهنا من أجل هذه الخبرات الروحية فى الحرب التى تقودنا نحن السائرين فى الطريق الى أن نختبر فى كل يوم أن « **الفخ انكسر ونحن نجونا**» فنتهلل ونقول « **قوتي وتسبحتي هو الرب**» « **لا يسلم رجلك للزلل**» .... «**أعدائي عثروا وسقطوا ونحن قمنا واستقمنا**» .

وقد تعب فى ترجمة هذا الكتاب أحد رهبان دير السريان العامر ، الرب قادر أن يعوضه أجراً صالحاً سمائياً ويكمل جهادنا ببركة القديسين بالصلوات والطلبات التى تصنعها عنا كل حين والدة الإله القديسة الطاهرة مريم وكل مصاف القديسين . آمين .

الكنيسة

عيد نياحة القديس الأنبا بيشوى الرجل الكامل : ٨ أبيب ١٦٨٤ / ٥ يوليو ١٩٦٨

مقدمة

هذا الكتاب المفيد للنفس يمكننا أن نسميه « المحاربات الروحية غير المرئية» لأن كثيراً من أسفار الكتاب المقدس سواء من العهد القديم أو الجديد يلاحظ أن عناوينها مطابقة للموضوعات التى اختصت بها . فسفر التكوين مثلاً سُمى هكذا لأنه يتكلم عن خلق العالم وابداعه من العدم ، والخروج سُمى هكذا لأنه يصف خروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، وسفر اللاويين سُمى هكذا لأنه يحوى الممارسات الطقسية ونظم العبادة المقدسة للاويين كهنة الرّب ، وأسفار الملوك سُميت هكذا لأنها تتكلم عن حياة وحوادث ملوك يهوذا واسرائيل ، وكذلك البشائر الأربع سُميت هكذا لأنها تتحدث عن الفرح العظيم وبشرى الخلاص للعالم بميلاد المُخلص« **لأنه ولد لكم اليوم .... مخلص هو المسيح الرب**» لو ٢ : ١٠ ، ١١ ، مظهراً للجميع طريقاً أكيداً للخلاص وميراث الحياة فى النعيم الأبدى .

ولما كان هذا الكتاب يتحدث لا عن فن المحاربات الحسية المنظورة أو أعدائنا الجسدانيين المرئيين فقط بل حتى عن الذين لا نراهم كما يتحدث عن الجهاد الموضوع على كل مسيحى منذ لحظة عماده حتى نهاية حياته لذلك اخترنا أن يكون عنوان هذا الكتاب« المحاربات الروحية» لأنه يتحدث عن محاربات روحية

كثيرة مثل أوجاع وشهوات الجسد بكل أنواعها ، كما يتحدث عن حروب الشياطين الشريرة التى تحقد على الانسان ولا تكف عن محاربته نهاراً وليلاً هذه الحرب التى يصفها القديس بولس الرسول بقوله : « **فإن مصارعاتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر . مع أجناد الشر الروحية فى السماويات** » أف ٦ : ١٢ . ويوضح لنا هذا الكتاب أن المسيحيين هم جنود هذه الحرب وقائدهم هو ربنا يسوع المسيح ويرافقه ويحيط به الرؤساء والقوات أى طغمات الملائكة والقديسين . وميدان المعركة حيث تدور الحرب هو قلبنا ، انساننا الداخلى ، وزمان المعركة هو طول الحياة .

وبماذا يتسلح محارب هذه الحروب الروحية ؟
اسمع ، إن : **خوذتهم** هى عدم ثقتهم بذواتهم و عدم اعتمادهم على أنفسهم بل على الله العامل فيهم . ويعضدهم إيمان قوى بالله وثقة شديدة فيه .

عدتهم وصدرتهم هى النمو فى آلام المسيح .

منطقتهم هى قطع الأوجاع الجسدية .

حذائهم الاتضاع والإحساس والتذكر الدائم فى ضعفهم لئلا يتكبروا فيسقطوا .

مناخس أرجلهم هى الصبر فى التجارب وعدم المبالاة بالإهانات والإضطهادات .

سيفهم الذى يقبضون عليه فى إحدى أيديهم دائماً هو الصلاة بلغة طاهرة أو برفع القلب الى الله .

حربتهم ذات الثلاثة شعاب التى يقبضون عليها بيدهم الأخرى هى الرفض وعدم الاستكانة والعزم الأكيد على عدم مهادنة العدو وقبول عروضه التى يحاول بها هزيمتهم ، بل إبعادها عنهم فى شجاعة وقوة .

مؤونتهم وطعامهم فى مقاومة عدوهم هو دوام شركتهم مع الله بواسطة سر التناول المقدس .

أما عن المنظار الذى يمكنهم أن يروا عدوهم من بعيد هو تدريب الذهن باستمرار فى معرفة ما هو حسن فى عينى الرب ، وتدريب الارادة فى أن لا ترغب إلا فيما هو مُرضى عند الله .

التمييز فى الحرب :

إننا هنا فى المحاربات الروحية وبالأحرى فى حروب الرب نحتاج أن نميِّز - كجنود مدربين - الهرب من المكائد المختلفة ، والحيل العديدة ، والخطط الشيطانية التى يستخدمها عدونا عن

طريق الحسيات الرديئة والهواجس الشيطانية ، أو عن طريق انعدام خوف الله من قلب الانسان وعلى وجه الخصوص عن طريق التجارب التى يدخلها الي القلب لحظة الموت - أعنى تجارب التشكك ، اليأس ، المجد الباطل ، وظهور الشياطين أنفسهم بهيئة ملائكة نور .

ومن يتعلم أن يميِّز كل هذا يتعلم أيضاً كيف يبطل مكائد العدو ويقاومها ، ويعرف الخطة التى يسير عليها ، وقوانين الحرب التى يتبعها فى كل حالة من الحالات ، والشجاعة التى يحتاجها ليدخل فى المعركة .

وبالاختصار أقول ، إن كل انسان يريد الخلاص سيتعلم من هذا الكتاب كيف يغلب أعداءه الروحيين ، ويحصل على كنز الفضائل الإلهية الحقيقية ، وينال الإكليل الذى لا يفنى ، ووسام الأبدية الذى هو الاتحاد مع الله فى هذه الحياة وفى العتيدة أيضاً .

تعلم كيف تجاهد :

لذلك أيها القارئ المحب للمسيح ، اعتبر هذا الكتاب نعمة وفرحاً وإذ تتعلم منه فن المحاربات الروحية جاهد ليس لمجرد القتال فقط بل جاهد جهاداً قانونياً كما ينبغى كى تكلل لأن

الرسول يقول : « ان كان أحد **يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونياً** » ٢ تى ٢ : ٥. سلح ذاتك بالكيفية التى يوضحها لك هذا الكتاب كى تهزم أعداءك الداخليين غير المرئيين الذين هم أوجاعك المهلكة للنفس وجذورها ومسبباتها . « **البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس**» أف ٦ : ١١ . تذكر كيف أنك فى المعمودية المقدسة تعهدت أن تجحد الشيطان وكل أعماله وأفكاره وكبريائه ، أى أن ترفض الشهوة ، محبة المجد العالمى ، محبة الفضة ، والأوجاع الأخرى . لذلك جاهد بكل قدرتك لكى تخزيه وتدحره وتغلبه بكل كمال .

من يغلب ؟

ثم ما هى المكافآت التى تنتظرك لو أحرزت هذا الانتصار ؟ إنها كثيرة وعظيمة استمع اليها بفم الرب نفسه الذى قال :

« **من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله**» رؤ ٢ : ٧.

« **من يغلب فلا يؤذيه الموت الثانى**» رؤ ٢ : ١٢.

« **من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى**» رؤ ٢ : ١٧.

« **من يغلب ويحفظ أعمالى الى النهاية فسأعطيه سلطاناً على الأمم وأعطيه كوكب الصبح**» رؤ٢:٢٦ ،٢٨.

« من يغلب فذاك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته » رؤ ٣ : ٥.

« من يغلب سأجعله عموداً فى هيكل الهى» رؤ ٣ : ١٢.

« من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى» رؤ ٣ : ٢١.

« من يغلب يرث كل شئ وأكون له الهاً وهو يكون لى ابناً » رؤ ٢١ : ٧.

أنظر يا للعطايا !! أنظر يا للهبات !! أنظر تاج عدم الفساد وهذه الأكاليل المعدة لك أيها الأخ إن كنت تغلب الشيطان . اجعل هذا هو هدفك الآن ، خذ على عاتقك هذا العمل وامتنع عن كل الأشياء التى تعوقك **لئلا يأخذ أحداً اكليلك»** رؤ ٣ : ١١.
لأنه حقاً من العار جداً بالنسبة لك أن ترى الذين يتسابقون فى الألعاب يمتنعون عن كل شئ معوق بكل تدقيق كى يحصلوا على اكليل يفنى من الزيتون أو السعف أو التبن أو الكافور أو الريحان، أو من أى نبات آخر ، ولكن أنت الذى تستطيع أن تنال اكليلاً لا يفسد . تضيع حياتك فى الإهمال والتوانى ، وحتى كلمات بولس

الرسول لا توقظك من نومك حين يقول : **« ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون ولكن واحداً يأخذ الجعالة ، هكذا اركضوا لكي تنالوا . وكل من يجاهد بضبط نفسه في كل شئ . أما أولئك فلكي يأخذوا اكليلاً يفنى أما نحن فاكليلاً لا يفنى »** ١ كو ٩ : ٢٤، ٢٥ . ان أحرزت هذا النصر ونلت هذا الاكليل البهي بدافع الغيرة ، لا تنسى يا أخي أن تصلي الى الرب من أجل غفران خطايا ذاك الذي ساعدك لتصل الى مثل هذه البركات بواسطة هذا الكتاب . ولكن قبل كل شئ لا تنسى أن ترفع عينيك الى السماء وترسل شكراً وحمداً لمعينك الأول وسبب نصرتك ربنا وقائدنا يسوع المسيح قائلاً له مثل زربابل منك تأتي النصرة ... وأنت هو رب المجد ، وأنا خادمك : مكرراً كلمات داود : **« لك يا رب العظمة والجبروت والجلال والبهاء والمجد الى أبد الآبدين آمين»** أخبار الأيام الأولى ٢٩ : ١١ .

نيقوديموس من جبل أثوس

+ + +

١

ما هو الكمال المسيحي ؟
الجهاد ضروري لادراك هذا الكمال
أربعة أمور لازمة للنجاح في هذا الجهاد

كلنا نود بل ونريد أن نحيا فى الكمال ، وقد أمرنا الرب به فى قوله « **كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل** » مت ٥ : ٤٨ . وينبهنا بولس الرسول الى ذلك فيقول « **كونوا أولاداً فى الشر وأما فى الأذهان فكونوا كاملين** » ١ كو ١٤ : ٢٠ . ويقول فى موضع آخر : **اثبتوا كاملين وممتلئين فى كل مشيئة الله**» كو ٤ : ١٢. وأيضاً « **لنتقدم الى الكمال**» عب ٦ : ١. وهذه الوصية عينها كانت موجودة فى العهد القديم فلقد قال الرب فى سفر التثنية (١٨ : ١٣) **تكون كاملاً لدى الرب الهك**» . وينصح داود سليمان ابنه قائلاً « **وأنت يا سليمان ابنى اعرف اله أبيك واعبده بقلب كامل ونفس راغبة** » أي ٢٨ : ٩ . فبعد هذا كله يمكننا أن نؤكد أن الله يريد ملء الكمال من المسيحيين ، أى أنه من الواجب علينا أن نكون كاملين فى كل الفضائل .

ولكنك يا قارئى المحبوب فى المسيح ، إن أردت أن تصل الى مثل هذه الدرجات العالية فيجب عليك أولاً أن تعرف فى أى شئ يكون الكمال المسيحى لأنك إن لم تعرف هذا ربما تنحرف عن الطريق الصحيح ، وتدخل فى طريق يختلف عن الطريق الذى ينبغى أن تسير فيه وتظن أنك تتقدم نحو الكمال .

أقول لك بكل وضوح : ان أكمل وأعظم شئ يريد الانسان أن يصل اليه هو الاقتراب الى الله والالتصاق به .

كثيرون يقولون إن كمال الحياة المسيحية الكائن فى تداريب أصوام وأسهار ومطانيات (وهى السجود لله الى الأرض دفعات كثيرة متواترة مع ترديد صلاة قصيرة) ، أو النوم على الأرض المجردة ، والممارسات الجسدية الخشنة المشابهة .

وآخرون يقولون إن الكمال المسيحى كائن فى ترديد صلوات كثيرة فى البيت والمواظبة على حضور الخدمات الطقسية الطويلة فى الكنيسة ، وآخرون يظنون إنه كائن كلية فى الصلاة العقلية ، مع التوحد والاختلاء والصمت ... ولكن الغالبية يحددون الكمال فى التطبيق الدقيق لكل المطاليب والقوانين دون زيادة أو نقصان حافظين طريق الاعتدال الملوكى (١) . ومع ذلك فكل هذه الفضائل

(١) أى لا يتطرف الانسان تطرفاً يمينياً أو يسارياً بل يحفظ توازن نفسه فى مسلكه الروحى لئلا يخرب نفسه .

لا تحوى الكمال المنشود فى ذاتها ، بل أنها مجرد وسائل لبلوغه .

لا شك انها وسائل فعالة توصل الى كمال الحياة المسيحية فإننا نرى الكثيرين من ذوى الفضيلة يمارسونها كى ينالوا قوة ضد طبيعتهم التى فسدت بالخطية وقدرة للتغلب على أهوائهم الخاطئة الشريرة . ويمارسون هذه الفضائل أيضاً لكى تتولد فى قلوبهم الشجاعة ليقاوموا تجارب ومكائد أعدائنا الثلاثة الرئيسية: **الجسد والعالم والشيطان** .وليحصلوا على المعونة الروحية بواسطة هذه الوسائل وممارستها .

ضرورة الفضائل

إنها ضرورية جداً لكل خدام الله ، وللمبتدئين على وجه الخصوص . من الضرورى أن يصوموا ليقمعوا أجسادهم ، وأن يتدربوا على السهر لتكون بصيرتهم الداخلية أكثر حدة ، وينامون على الأرض المجردة لئلا ينحلون أثناء النوم ، ويربطون ألسنتهم بالصمت ، ويختلون وحدهم كثيراً ليتجنبوا أقل تدخل يعيق حضور الله الكلى القداسة اليهم . انهم يتلون الصلوات ، ويواظبون على الخدمات الكنسية، ويتمموا الأعمال التقوية الأخرى ليحفظوا عقولهم فى السماويات كما يقرأون فى حياة المخلص له المجد وآلامه من أجل الغرض الوحيد ، أى ليتحققوا من عجزهم

وضعفهم بوضوح ، كذلك يتأكدوا من رأفات إلهنا وعظم حبه ورحمته ليتعلموا ويشبهوا أتباعه حاملين صليبه ناكرين ذواتهم ، ولتلتهب قلوبهم بحب الله أكثر فأكثر .

الفضائل ليست هدفا- لكنها وسيلة

ولكن من ناحية أخرى فإن هذه الفضائل عينها قد تتسبب فى ضـــرر من **يأخذونها هدفاً لحياتهم ، ورجاءهم الوحيد** .وهذا الأمر ليس العيب فيه فى الوسائل (الفضائل) ، ولكنه سوء استعمال لها ، لأن هذه الوسائل مقدسة وبارة فى حد ذاتها . أما الذين يمارسون هذه الفضائل **في الظاهر خارجياً فقط** ، تاركين قلوبهم تتحرك بسبب مشيئاتهم الخاصة ومشورات الشيطان ، يفرح إبليس بهم ويطرب إذ يرى أنهم قد تركوا الطريق الحقيقى ، ويكف عن التدخل فى نشاطهم الجسدى بل يسمح لهم أن يزيدوا ويضاعفوا مجهوداتهم طاعة لتفكيرهم الباطل . هؤلاء الناس إذ يختبروا مع هذا التهابات روحية معينة ، وتعزيات ، يتصورون أنهم قد بلغوا الحالة الملائكية ويشعرون أن الله ساكن فيهم . وفى بعض الأوقات يستغرقون فى تأملات عاطفية غير روحانية وغير أرضية فيهيأ لهم أنهم قد ارتفعوا كلية عن مجال هذا العالم واختطفوا الى السماء الثالثة .

عيوب الممارسات الشكلية للفضائل

على أية حال إن أى شخص يمكنه أن يرى بوضوح خطأ مسلكهم بنظرة واحدة الى حياتهم وطباعهم . ليعرف كيف أنهم بعيدون عن الكمال الحقيقى . وبصفة عامة نراهم دائماً :

✢ يريدون أن يكونوا مفضلين عن الآخرين ويحبون أن يعيشوا بحسب ارادتهم الخاصة .

✢ وهم دائماً عنيدين فى قراراتهم .

✢ عميان بالنسبة لكل شئ يتصل بهم ، ولكنهم يبصرون بوضوح وبجسارة فضولية كلمات الآخرين وأعمالهم .

✢ إن مدح أحد آخر غيرهم بأمور يعتقدون أنهم قد أحرزوها لا يستطيعون أن يحتملوا ويناصبوه العداء بوضوح .

✢ وإذا تدخل أى شخص معهم فى أعمالهم التقوية ونسكياتهم – لا سيما فى حضرة الآخرين فليحفظنا الله – يصيرون حانقين ويغلون من الغيظ ويفقدون هدوئهم .

الله يكشف للإنسان الطريق

وإذ يشتاق الله أن يعرفوا ذواتهم كى يسيروا فى طريق الكمال الحقيقى ، يسمح لهم بالتجارب والأمراض ، أو يسمح بأن يضطهدوا فعادة يختبر الله خدامه الحقيقيين الصادقين عن طريق

هذه الوسائل فهذا الاختبار يظهر على الفور ما هو مختبئ فى قلوبهم ، وكم فسدوا بسبب الكبرياء . لأن أى تجربة تأتى عليهم يرفضون أن يحنوا أعناقهم بسببها تحت نير إرادة الله ، ولا يثقون فى أحكامه وعدله . انهم يرفضون أن يتبعوا مثال ربنا يسوع المسيح ، ابن الله الذى وضع نفسه وتألم لأجلنا ، ولا يريدون أن يتضعوا ليعتبروا أنفسهم أدنى كل المخلوقات ، وأن يعتبروا مضطهديهم كأصدقاء صالحين يستخدمهم الله لبنيانهم والمساعدة على خلاصهم .

وهكذا يتضح لنا أنهم فى خطر عظيم ، إذ قد اظلمت عيونهم الداخلية ، أى عقولهم إذ ينظرون الى ذواتهم بهذه النظرة الخاطئة ، ظانين أن أعمالهم التقوية الخارجية هى كل الصلاح ويتصورون أنهم قد وصلوا الى الكمال . فينتفخون فى ذواتهم ويدينون الآخرين . وبعد هذا يستحيل على أى انسان أن يرجع مثل هؤلاء الناس الى طريق الصواب إلا بتأثير خاص من نعمة الله . ان الخاطئ الواضح والمعروف يمكن أن يتحوّل الى الصلاح بأكثر سهولة من الذى يخطئ سراً وهو مختبئ ، تحت قناع فضائل منظورة .

الكمال الحقيقى

والآن بعد أن رأينا بوضوح أن الحياة الروحية ، والكمال المسيحى لا يكون فى الفضائل المظهرية التى تحدثنا عنها . علينا أن نعرف أيضاً أنها لا تكون فى أى شئ سوى :

١- الاقتراب من الله والالتصاق به كما قيل من البداية .

٢- ادارك من صميم القلب بصلاح الله وعظمته .

٣-الاحساس بأننا لا شئ وأننا قابلون للخضوع لكل شر .

٤- حبنا لله .

٥- كراهية الخطية التى تفصلنا عن الله ولكل خليقته حباً فيه .

٦-تركنا لكل مشيئة خاصة وطاعة كاملة لإرادة الله .

وبالأكثر ممارسة هذا كله بقلب نقى ولمجد الله (١ كو ١٠ : ٣١) لا من أجل شئ بل من أجل الرغبة الواضحة الصريحة لإرضاء الله ولأن هذه هى ارادته وحده ، لأننا نحبه ونعمل كل شئ من أجله .

هذا هو قانون الحب ، مكتوباً باصبع الله ذاته فى قلوب خدامه الحقيقيين هذا هو ترك نوايانا لعمل نعمته لأن الله يطلب منا هذا . هذا هو نير يسوع المسيح المبارك وحمله الخفيف . هذا هو التسليم لارادة الله ، هذا الذي يطلبه منا فادينا ومعلمنا سواء بكلمته أو بمثاله . ألم يطالبنا سيدنا ورئيس خلاصنا ربنا يسوع المسيح أن نقول حين نصلى للآب السماوى أبانا ... لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض (مت ٦ : ١٠) ؟ أو لم يعبر هو ذاته فى ليلة آلامه عن هذه الحقيقة فى قوله « لتكن لا

ارادتى بل ارادتك » لو ٢٢ : ٤٢ أو لم يقل عن كل عمله لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى ؟ (يو ٦ : ٣٨) .

الطريق الى الكمال المسيحى

ألا ترى الآن يا أخى أن هذه كلها وسائل ؟ اننى أعرف أنك تبدى استعدادك وتشتاق أن تصل الى علو هذا الكمال . فلتكن غيرتك مباركة . ولكن أعدد نفسك أيضاً للعمل ، للعرق والجهاد من بدء خطواتك الأولى فى الطريق . عليك أن تقدم كل شئ لله وتعمل مشيئته فقط . ستقابل فى نفسك أهواء كثيرة وارادات ومشيئات عديدة تصرخ طالبة اشباعها غير مراعية ما إذا كانت توافق ارادة الله أم لا فلكى تصل الى هدفك المنشـــود من الضرورى أولاً أن تخضع ارادتك وتتخلص من أهوائك الخاصة . أما النجاح في هذا فيتوقف على معارضتك باستمرار لكل شر فيك وغصبك لذاتك لعمل الصلاح أعنى أن تحارب ضد ذاتك بلا توقف وضد مسببات الآلام ومثيريها فاعدد نفسك لهذا الجهاد ولتلك الحرب واعلم أن الاكليل - أى بلوغ الهدف المنشود - لا يعطى إلا للبواسل من المحاربين المجاهدين .

ولكن إن كان هناك صعوبة فى الحرب فذلك لأننا نحارب ضد ذواتنا ونجد المعاكسة من ذواتنا . هكذا أيضاً يكون في هذه

الحروب الانتصار أعظم مجداً من أى مجد آخر ، أى انتصار يحرزه الانسان يكفى أنه أكثر شئ يسر به الله .

انك إن انتصرت مدفوعاً بالحماس وأمّت أهواءك الدنسة ، وشهواتك ورغباتك فإن الله يسر بك كثيراً . إذ تعمل لأجله بصورة أكثر جمالاً مما لو أدميت جسدك بالجلد وأتعبت نفسك بالأصوام أكثر من سواح البرية وحتى لو خلصت مئات من العبيد المسيحيين من أسرهم وأطلقتهم الى الحرية فهذا لا يخلصك أنت إن بقيت عبداً لأهوائك الرديئة وأى عمل مهمل كان مجيداً ، ومهما كانت تضحيتك فيه لا يوصلك الى هدفك المنشود إن تركت أوجاعك ولم تلتفت اليها ، تاركاً لها حرية العيش والعمل فيك .

أخيراً بعدما عرفنا ماذا يحويه الكمال المسيحى ، وعرفنا أنه علينا أن نشن حرباً قاسية ضد أنفسنا كى نصل اليه . فإذا أردت حقاً أن تنتصر فى هذه المحاربات الروحية وتنال الاكليل عليك أن تضع هذه المبادئ الروحية الأربعة أمامك وأن تكون فى قلبك مستعداً بها دائماً لأنها سلاح لا يقهر وموثوق به أكثر من الجميع ...

أ- لا تعتمد على ذاتك فى أى شئ (انكار الذات) .

ب- أحمل دائماً فى قلبك ثقة شديدة وكاملة بالله وحده .

جـ - جاهد بلا توقف . د- كن فى صلاة دائمة .

٢

لا تعتمد على ذاتك

(على الانسان ألا يتكل على نفسه ، أو يثق بداته فى أى شئ)

إن عدم الاتكال على نواتنا أمر ضرورى جداً فى جهادنا يا أخانا ، لأنه بدون هذا تأكد انك ستفشل فى بلوغ انتصارك المرجو ، وستكون غير قادر أن تقاوم أقل هجوم من العدو .... فضع هذا فى أعماق عقلك وقلبك .

منذ أن تعدى آدم الوصية وسكنت الخطية فينا مسببة لنا ضعفاً فى قوانا الروحية والأخلاقية فإننا على الرغم من كل هذا اعتدنا أن ننظر الى نواتنا نظرة متعالية ، مع أن الخبرة العملية تبرهن لنا كل يوم زيف هذه النظرة ، والحقيقة أننا مخدوعون فى أنفسنا ونحن غير مدركين ، ولا نكف أن نعتقد باستمرار اننا شئ وشئ هام . إن هذا المرض الروحى من الصعب تمييزه وادراكه إلا أنه ممقوت جداً من الله أكثر من أى شئ آخر فينا لأن هذا المرض هو الابن البكر للذاتية ومحبة النفس ، وهو أصل وجذور وسبب كل أوجاعنا وسقطاتنا وأفعالنا الرديئة . انه يغلق باب عقولنا وأرواحنا ويحجز سائر النعم الإلهية من أن تدخل .

ان الاتكال على النفس لا يُعطى مجالاً للنعمة أن تسكن فى الانسان ولذا فإنها ترفض أن تعمل فينا ، لأنه كيف تقدر النعمة التى تأتي لتساعدنا وتتيرنا أن تعمل فى الانسان الذى يظن فى نفسه أنه شئ عظيم ، وأنه يعرف كل شئ من تلقاء ذاته ولا يحتاج الى أى معونة خارجية ؟ - فليحفظنا الرب من هذا المرض والوجع الذى لإبليس . ان الله يعنف أولئك المغلوبين بهذا الوجع الذى هو المجد الباطل ، وتوقير الذات قائلاً بالنبى : « **ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم**» اش ٥ : ٢١ . ويحذرنا الرسول قائلاً : « **لا تكونوا حكماء عند أنفسكم**» رو ١٢ : ١٦ .

النعمة الإلهية تسند جهادنا

والله نفسه إذ يبغض جداً هذا التقدير الخاطئ لذواتنا . لا يحب ولا يرغب أن يرى فينا أكثر من احساس صادق بأننا لا شئ، واقتناعاً عميقاً وقوياً بأن أى صلاح قد يوجد فى طبيعتنا أو حياتنا يأتى منه وحده وحيث أن الله هو مصدر كل خير ، وأن لا شئ من الخير الحقيقى يمكن أن يأتى من ذواتنا سواء كان فكراً صالحاً أو عملاً خيراً .

لذلك حرص الله على أن تكون هذه البذرة الصالحة مغروسة فى قلوب أحبائه الصديقين . فيحثهم ألا يعطوا قيمة

لأنفسهم ولا يثقوا في ذواتهم ، وتارة يفعل هذا عن طريق عمل النعمة والاستنارة الداخلية ، وتارة أخرى عن طريق الضربات والشدائد . أحياناً بواسطة تجارب لا تقهر ، وأحياناً بوسائل أخرى خفية لا ندركها نحن .

إن عدم توقع أى صلاح من أنفسنا ، وعدم الاتكال على ذواتنا شئ تعمله النعمة فينا ، إلا أنه علينا من جانبنا أن نبذل كل الجهد ، ونفعل كل ما بوسعنا كى نصل الى هذا الاستعداد ... لذلك أقدم لك يا أخى أربعة تداريب بواسطتها وبمعونة الله تصل الى عدم الاتكال على نفسك وتتعلم أن لا تثق فى ذاتك فى أى شئ :

أ- تحقق أنك لا شئ ، وضع فى ذهنك دائماً أنك لا تستطيع من نفسك أن تصنع أى صلاح يستحق ملكوت السموات . تذكر أقوال الآباء الكثيرة فمنهم من قال : « ليس أفضل من أن يعرف الانسان ضعفه وجهله ، وليس أسوأ من يتنكر انسان لهما ، ومنهم من قال : « إن أساس كل فضيلة هو معرفة الانسان ضعفه» . ولقد قال القديس يوحنا ذهبى الفم : « ذاك يعرف نفسه حق المعرفة من اعتبر نفسه لا شئ » .

ب- اطلب معونة الله باستمرار بصلوات حارة متضعة ، لأن معرفة الانسان ضعفه هى نعمة من الله . فإن أردت

الحصول عليها ، وظن فى نفسك أولاً اقتناعاً راسخاً بأنك لا تملك هذا الاحساس فى داخلك ، بل وأنك لا تستطيع أن تصل اليه عن طريق محاولاتك الخاصة ، حينئذ تكون واقفاً بجسارة أمام الله العظيم بإيمان ثابت انه فى رحمة حبه العظيم سيمنحك هذه المعرفة عن نفسك وهو وحده يعرف **متى يعطى لك هذه المعرفة وكيف يعطيها** . لا تدع أدنى شك يتسرب اليك فى أنك ستأخذها حتماً .

جـ - عوِّد نفسك أن تكون حذراً وخائفاً من أعدائك العديدين الذين لا تقدر أن تقاومهم ولو لوقت قصير . خف من خبراتهم الطويلة فى محاربتنا ومن مكرهم وفخاخهم وقوتهم فى أن يأخذوا هيئة ملائكة نور واحذر من مكائدهم وشباكهم العديدة التى يبسطونها سراً فى طريق حياتك فى الفضائل .

د- إذا سقطت فى تعدٍ ما ، ارجع بسرعة الى معرفة ضعفك وكن على حذر منه ، لأن الله يسمح بسقوطك كى يجعلك أكثر حرصاً ضد ضعفك وحتى تتعلم أن تحتقر ذاتك ، وليس هذا فقط بل من أجل ضعفك الشديد يكون لديك الرغبة أيضاً أن تكون محتقراً من الآخرين أيضاً . واعلم أنه بدون هذه الرغبة يستحيل أن يتولَّد فيك فضيلة جحدك لذاتك وتبقى متأصلة فيك هذه الذات .

هذا هو أساس وبداية الاتضاع الحقيقى المبنى على الاختبار العملى لقصورك ووهنك وضعفك الشديد .

من هذا يرى كل واحد منا ضرورة معرفة الانسان ، الذى يريد الاشتراك فى النور السمائى بذاته . وكيف يرحم الله المتكبرين والمعتدين بذواتهم الى معرفة ضعفهم حتى عن طريق سماحه بأن يسقطوا . فإنه بعدل يسمح بسقوطهم فى نفس الخطية التى ظنوا أنهم قد تحصنوا ضدها ، لكى يعرفهم ضعفهم ، ويمنعهم من اعتمادهم على ذواتهم بجهاد سواء فى هذا أم فى غيره .

رغم أن هذه الطريقة فعالة جداً ، إلا أنها ليست بلا خطورة وغالباً لا يستخدمها الله إلا بعدما تفشل كل الوسائل الأخرى التى ذكرناها لأنها طبيعية وأكثر سهولة فى قيادة الانسان الى معرفة ذاته . ولكن إن فشلت يترك الانسان ليسقط فى خطية كبيرة أو صغيرة بحسب درجة كبريائه واعتداده بنفسه ، لأنه حينما لا يكون كبرياء ولا اعتداد بالذات لا تكون سقطات . لذا إن حدث أنك سقطت فاتضع بسرعة فى فكرك عن نفسك وفكر باحساس متواضع عن ذاتك ، وثابر فى التضرع الى الله ليعطيك نوراً حقيقياً كى تعرف أنك لا شئ . وبكت قلبك فى عدم الاعتماد

على نفسك لئلا تسقط مرة أخرى فى ذات الخطية أو فى خطية أسوأ منها وأكثر إهلاكاً (١).

أحب أن أضيف : أنه ليس فقط عن طريق سقوط الانسان فى خطايا معينة يصل الى معرفة ذاته بل أيضاً حينما يجرب ببعض الضيقات أو الأحزان وبالأخص الأمراض الجسدية التى تطرحه فى الآلام . فعليه ان يفهم فى مثل هذه الحالات أنه يعانى هذا كى يعرف ضعفه حق المعرفة، ولكى يتضع .

ان الله يسمح بأن تهجم علينا كل أنواع التجارب من الشيطان ، من الناس ، ومن طبيعتنا الخاطئة – من أجل هذا الغرض . والقديس بولس رأى هذا فى التجارب التى قاساها فى آسيا حين قال : « **ولكن كان لنا فى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم من الأموات**» ٢ كو ١ : ٩.

---

(١) أقل خطية كفيلة بهلاك الانسان فى حالة عدم التوبة لأنه ليست خطية بلا مغفرة إلا التى بلا توبة ولكن ينكر هنا خطايا اكبر واسوأ من حيث أن درجة تدنيسها للنفس تكون بصورة اكبر .

وسأضيف شيئاً آخر : لو أراد شخص أن يعرف ضعفه من خبرته العادية فى حياته فليلاحظ ما أقول ليس لأيام كثيرة بل ليوم واحد فقط ، أفكاره وأقواله وأفعاله - ماذا فكر ، وماذا قال ، وماذا فعل . فسيجد بلا شك أن الجانب الأكبر من أفكاره وأقواله وأفعاله خاطئة وحمقاء ورديئة . هذه التجربة ستجعله يعرف عملياً ، كم هو ضعيف غير مرتب فى ذاته . وإذا كان راغباً فى الخير لنفسه بإخلاص سيدرك ويحس عن طريق معرفته لضعفه كم تكون جهالته إن اتكل على ذاته وحده أو توقع أى صلاح من نفسه ومن نفسه فقط .

+ + +

٣

ثـــق فى اللــه

(ثق فى الله وحده ، والرجاء به)

بالرغم من ضرورة عدم الاتكال على مجهوداتنا البشرية فقط فى المحاربات الروحية كما قلنا إلا أننا فى الوقت نفسه إن سقطنا فى اليأس دون أن نجد عوناً آخر ، فمن المؤكد أننا إما أن نهرب فوراً من أرض المعركة أو نغلب ويأسرنا العدو . لذلك فبجانب انكارنا لذواتنا كلية ينبغى أن نشعر من عمق القلب أنه ليس لنا أى متكل نتكل عليه سوى الله ، وأننا منه ومنه وحده نتوقع كل خير ، وكل معونة وكل نصرة . فإنه لأننا لا شئ فلا نستطيع أن نتوقع أى شئ من أنفسنا سوى العثرات والسقطات تلك التى تجعلنا لا نعلق أى أمل على ذواتنا فقط . ومن جهة أخرى نحن متأكدون دائماً بأن نصرتنا هى من عند الرب إن كنا نسلح قلبنا بثقة حية فيه ، ويقين لا يهتز ، فسنأخذ معونة من لدنه كقول المزمور « **الرب عـــزى وترســى ، عليـــه اتكل قلبى فانتصرت** » مز ٢٨ : ٨ . والأفكار التالية تساعدك على هذا الرجاء ، فتنال المعونة :

أ- إننا نطلب مـعــونة الله . القــدير على كل شئ ، والذى يستطيع أن يفعل كل ما يريد ولذا يقدر أن يعيننا .

ب- إننا نطلب معونة الله ، الحكيم والعليم بكل شئ ، إنه يعلم كل شئ بأكمل طريقة ولذا يعرف جيداً ما هو نافع لخلاص كل واحد منا .

جـ - اننا نطلب معونة الله الخيِّر بصورة لا نهائية ، والذى يأتى الينا بحب لا يعبر عنه ، وهو على استعداد من ساعة الى ساعة ومن دقيقة الى دقيقة أن يمدنا بالمعونة التى نحتاجها للنصرة على المحاربات الروحية الدائرة فينا بمجرد أن نركض بثقة أكيدة لنرتمى فى أحضانه . لأنه كيف يمكن أن راعينا الصالح الذى ذهب ليبحث عن الخروف الضال لمدة ثلاث سنين ، منادياً عليه بصوت عال حتى بح صوته ، سالكاً طرقاً وعرة مملوءة أشواكاً حتى أنه أهرق كل دمه وأسلم حياته . فإن اتبعه الخروف الآن ، راجعاً اليه وترجى معونته، كيف يمكن ، أن يحوِّل نظره عنه ؟ ولا يأخذ خروفه الضال فى أحضانه الالهية ! جاعلاً إياه بين صفوف الملائكة السمائيين ، مقيماً وليمة ترحيب من أجله؟ وإن كان الله لا يتوقف أبداً عن أن يبحث بحب واجتهاد عن الخاطئ الأعمى الأصم (مثل المرأة الباحثة عن الدرهم المفقود فى الانجيل) كيف يمكن أن نتصور أن الله سيهمله الآن حينما يصرخ اليه كخروف ضال يدعو راعيه ؟ ومن يصدق أن الله الواقف على باب قلب الانسان دائماً يقرع مريداً أن يدخل

ويتعشى معه كما فى سفر الرؤيا (رؤ ٣ : ٢٠) من يظن أن نفس هذا الإله سيرفض الدخول ان فتح انسان باب قلبه ودعاه للدخول ؟

د- والطريقة الرابعة التى تولد ثقة شديدة بالرب فى الحياة وتستميل معونته السريعة هو أن تستعيد فى ذاكرتك كل أمثلة المعونة الإلهية كماهى معروضة فى الأسفار المقدسة ، وما أكثرها. وبهذه الطريقة يتضح لنا أنه ليس من انسان يضع ثقته فى الله ويخزى أو يلبث بلا معونة. يقول ابن سيراخ الحكيم : «**تأملوا فى الأجيال الأولى وانظروا من توكل على الرب فخزى**» سى ٢ : ١٠ .

تسلح يا أخى بهذه الأسلحة الأربعة ، وادخل المعركة بشجاعة واستعد للحرب وكن متيقظاً ومقتنعاً تماماً أن النصرة ستمنح لك وانك بمساعدتها ستنال بكل تأكيد ثقة فى الله ، وهذه الثقة لن تخيب أبداً فى استمالة معونة الله ، وتوشحك بقوة لا تهزم ... وهذا سيولد فيك عدم ثقة فى ذاتك . وانني فى هذا الفصل لا أهمل أى فرصة كى أذكرك أن لا تثق فى ذاتك . لأننى لا أعرف أحداً يستغنى عن أن يُذكر بها .

ان توقير الذات وجع متأصل فينا جداً ومتشابك معنا لأبعد غاية يجعلنا نظن اننا شئ ، إنه وجع مختبئ فى قلبنا كحركة

خبيثة لا تدرك حتى ونحن متأكدون أننا لا نثق فى أنفسنا ، وأننا على العكس ممتلئين بالثقة فى الله وحده . فلكى نتجنب خداع القلب هذا ، ونعمل بدون أى اتكال على النفس ، منقادين بالثقة فى الله والقوة التى يعطيها لك . احرص دائماً أن تحتفظ بميل الى الإحساس والشعور بالضعف يثبت فيك التأمل فى قدرة الله، واجعل كليهما يسبقان كل عمل من أعمالك .



٤

اعــرف نفسـك

(كيف تعرف ان انساناً يتصرف بثقة كاملة فى الله ولا يعتمد على ذاته)

يظن المعتمدون على أنفسهم دائماً أن ثقتهم كلها فى الله معتمدين عليه أبداً ،وأن ليس عندهم أى اعتداد بالذات على الإطلاق . ولكن ليس الأمر كذلك فى الواقع ويمكنهم أن يتأكدوا هذا من تلقاء أنفسهم ان حكموا بما فيهم ، وما يحدث لهم حين يسقطون . فإن كانوا يغتمون لسقطتهم معيرين ومبكتين أنفسهم من أجلها متفكرين هكذا : « سأفعل كذا وكذا كى أهزم سقطتى. وكل شئ سيرجع أفضل مما كان عليه فهذه علامة أكيدة على ثقتهم فى أنفسهم قبل السقوط وقلما اعتمدوا على الله . ولذا فالحزن المتسبب عن سقطتهم لا يكون مصحوباً بأى عزاء . أما إذا كان الانسان غير معتمد على ذاته بل يضع ثقته فى الله فإنه حين يسقط لا يندهش كثيراً . ولا يصير فريسة للحزن المفرط ، لأنه يعرف أنها نتيجة عجزه وضعفه ، وفوق كل شئ ضعف ثقته بالله . فتكشف له السقطة حقيقة نفسه وضعف طبيعته وتجعله يتحمل كل مشقة ليزيد من ثقته المتواضعة بالله ويعمقها ، كارهاً الأوجاع الدنيئة المتسببة فى سقطته . فيتحمل آنذاك كل أعمال

التوبة شاعراً أنه أساء الى الله . كل هذا يعمله فى هدوء وسلام ، وإذ يتسلح بثقة أكبر فى الله ، يطارد أعداءه بشجاعة وبسالة حتى الموت وسأستطرد مثل بعض الناس إلى ما قلته سابقاً فإنه بالرغم من ظنهم فى أنفسهم أنهم فضلاء وروحانيون - سرعان ما يبتلعون من الكرب والانزعاج حين يسقطون ولا يجدون أى سلام فى أى مكان وتحت تأثير هذا الغم الشديد الذى يقاسونه - لا لشئ إلا لتوقيرهم لذواتهم - يجرون إلى آبائهم الروحيين ليتحرروا من هذا الحمل وربما فعلوا هذا فور سقطتهم ، وليس لأجل أى سبب سوى الرغبة فى أن يغتسلوا بأسرع ما يمكن من وزر الخطية التى أغضبت الله ، ولينالوا قوة جديدة ليحاربوا بها ضد أنفسهم عن طريق التناول الأقدس بالتوبة والاعتراف .

+ + +

٥

هل الحزن المفرط فضيلة (فى خطأ من يعتقدون ان الحزن المفرط فضيلة)

من الخطأ أن تنظر الى الحزن المفرط الذى يشعر به بعض الناس بعد ارتكاب الخطيئة أنه فضيلة ، فى حالة ما إذا كان ناتجاً عن كبرياء وعظمة فى الذات ، وهذا على أساس أنهم يعتمدون على أنفسهم كثيراً جداً ، وعلى قوامم الشخصية ، لأنهم إذ يفكرون أنهم شئ هام يهتمون بذلك جداً ، آملين أن يكونوا هكذا بذواتهم . وعندما تريهم خبرة سقوطهم أنهم ضعفاء، يصعقون كأناس قابلوا أمراً غير متوقع ، ويبتلعون من الانزعاج وخوار القلب ولأنهم يرون صورتهم التى نقشوها عن ذواتهم وهى ساقطة ومنطرحة على الأرض ... بعدما عقدوا عليها الأمانى والآمال .

هذا لا يحدث لإنسان متضع واثق بالله وحده ولا يتوقع من نفسه أى شئ صالح . فحين يسقط فى بعض التعديات يشعر هو أيضاً بثقلها ويحزن ، ولكنه لا ينزعج ولا ييأس لأنه يعرف ان هذا نتيجة لعجزه ووهنه فقد اختبر أن السقطات ليست بالأمور الغير متوقعة أو المستحيلة بالنسبة له .

٦

كيـف أتخلى عن ذاتى وأتكل على الله ؟

(توضيحات فى مجال وحدود عدم الاعتماد على النفس والثقة التامة بالله)

حيث أن كل القوى التى بها نهزم أعدائنا تتولد فينا عن طريق عدم اعتمادنا على أنفسنا وثقتنا المطلقة بالله . فلا بد أن يكون لذلك يا أخى معرفة واضحة عن هذا ، كى تنال هذه القوى وتحفظها متآزرة مع معونة الله فيك . ضع فى ذهنك إذاً ولا تنسى : أن ليست كل طاقاتنا وصفاتنا الطيبة سواء كانت طبيعية أم مكتسبة ، ولا المواهب المعطاة لنا بحرية ، ولا المعرفة بالأسفار المقدسة كلها ، ولا أعمالنا التى نعملها من أجل الله واكتسابنا خبرة فى هذه الأعمال ولا هذه الأشياء كلها مجتمعة تمكننا أن نفعل ارادة الله على الوجه الصحيح . إن كنا أمام أى عمل صالح على وشك أن نعمله ، وأمام تجربة نريد أن نتجنبها ، أو أمام أى صليب علينا أن نحمله بحسب ارادة الله – أقول فى كل هذه الحالات ، ما لم تأتِ معونة الهية خاصة تلهم القلب ، وما لم نعطِ معونة وقوة كى نكملها لا نقدر أن نعملها كما قال الرب : «بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» يو ١٥ : ٥ . لذا يجب علينا خلال كل فترة فى حياتنا ، كل يوم وكل لحظة ، أن

نحفظ مشاعر القلب ثابتة من جهة الاقتناع والاستعداد أن لا نسمح بأن نفكر فى الاعتماد على ذواتنا ، والثقة بأنفسنا أمام أى حالة من الحالات .

الله يعرف الوقت المناسب للنصرة

أما من حيث الثقة بالله ، سأضيف ما يلى على ما قلته فى الفصل الثالث : اعلم يا حبيبى أنه ليس أسهل على الله من أن يمنحك نصرة على أعداءك مهما كانوا قليلين أو كثيرين ، سواء كانوا مسنين أقوياء أم حديثين ضعفاء ، ولكن ، له وقته الخاص ونظامه الخاص بكل شئ . ولذا فإن كانت نفس مثقلة بآثام وخطايا كثيرة ، وإن كانت مذنبة بكل جرائم الدنيا ، وتنجست بصورة تفوق الخيال ، وفى نفس الوقت إن كانت بقدر قوتها ودوافعها تبذل كل المحاولات وتستخدم كل الوسائل كى تتحرر من الخطيئة وترجع الى طريق الصلاح وإن كانت غير قادرة أن تثبت فى عمل أى بر مهما كان صغيراً ، ولكنها على العكس تغوص فى الشر فى لجّة الى أخرى أعمق .. فحتى وإن كانت كذلك ، لا ينبغى أن تضعف ثقتها فى الله أو تتباعد عنه. على هذه النفس أن لا تهمل أسلحتها الروحية وأشواقها، بل يجب أن تحارب وتحارب مجاهدة مع ذاتها ومع أعدائها بكل شجاعتها ومحاولاتها التى لا تتوقف عند حد. فاعلم وافهم أن الكل من

الخاسرين فى المحاربات الروحية ما عدا الانسان الذى لا يكف عن الجهاد ، ويتمسك بثقته فى الله ، فالرب لا يهمل أبداً أولئك الذين يحاربون فى جيوشه ، رغم أنه أحياناً يتركهم ليعانوا جروحاً . لذا حارب بشجاعة أكثر أقولها لكل شخص ، حارب ولا تتراخ ، لأن الجهاد الذى بلا توقف هو كل شئ لكسب المعركة . إن الله مستعد دائماً بالأدوية والعلاجات للذين آذاهم العدو ، وهو يرسل اليهم المعونة فى الوقت المناسب ليغلبوا عدوهم ، إن كانوا يطلبونه ويرجونه بعزم وثبات ... ثم فى ساعة معينة لا يتوقعونها سينظرون أعداءهم المتكبرين وقد اختفوا كما هو مكتوب « كف جبابرة بابل عن الحرب» أر ٥١ : ٣٠.

+ + +

الوقـاية من داء الجهـل

كيف ندرب عقولنا لئلا تمرض بداء الجهل ؟

إن كـان مبدأ عدم الاعتمـاد على النفس والثقة بالله لا يمكن إغفـاله فى مـصارياتنا الروحية ، إلا أنه ليس كـافيـاً وحده فـإنه بالاضـافة اليه علينا أن نقوم بأعمـال لها نوع خاص ، ونمارس تداريب من أجل البناء الروحى ، لأننا إن اكتفينا بهذا المبدأ وحده فإننا سوف لا ننتصر فقط بل سنسقط فى شر أعظم .

فعلينا أولاً أن نمارس تداريب للعقل والارادة .

يجب أن يتحـرر العقل ويحفظ من الجهل الذى يضره جداً ، فإن الجهل يظلم العقل ويعوقه عن معرفة الحق الذى هو صميم عمله وهدف تسـاميه . لذا يجب أن يدرب كى يصبح لائقاً صافياً قادراً أن يميز بالصواب ما نحتاجه لتنقية أنفسنا من الأوجاع وتزيينها بالفضائل .

توجد وسيلتان بواسطتهما يمكننا أن ننال صفاء الذهن :

✣ الأولى وهى الأكثر أهمية ، الصلاة ، التى عن طريقها نتوسل الى الروح القدس أن يسكب نوره الإلهى فى قلوبنا وهذا ما سيفعله بكل تأكيد إن كنا بحق طالبين الله وحده باخلاص ،

قائلين أن نطيع ارادته في كل شئ ، مسلمين برضى ، وفى كل الأمور ، الى نصيحة آبائنا الروحانيين المختبرين ولا نفعل شيئاً بدون مشورتهم .

✢ والطريقة الثانية لتدريب العقل هي أن نفحص الأمور ونتمعن بعمق لمعرفتها ، لكى نرى بوضوح ما هو حسن منها ، وما هو ردئ ، علينا أن لا نحكم عليها (تلك الأمور) بالحس العالمى بل بإرشاد الروح القدس .

أما عن علامات تعمق المعرفة وصحتها وسلامتها هى :

● أنها تمكننا أن نفهم بوضوح أن كل ما يطلبه العالم الأعمى الدنئ ويحب زائف وبلا جدوى ونعتبره من كل القلب عديم القيمة .

● أنها ترينا أن مجد ولذات وغنى هذا العالم لا شئ وأن كل هذه الأمور أباطيل مميتة للنفس .

● ان الافتراءات والاساءات التى يضطهدنا بها العالم هى ذاتها التى تأتى بنا الى المجد الحقيقى .

● وان آلام العالم تؤول بالنسبة لنا إلى أفراح .

● وان مسامحة أعدائنا وصنع الخير معهم هو سمو أخلاقى حقيقى وهى ميزة خاصة للمشابهة بالله .

● وان الانسان الذى يحتقر العالم يظهر قدرة أعظم وأقوى من انسان يحكم العالم كله .

● وان الطاعة عن رغبة ، عمل يظهر شجاعة الروح وقوتها أكثر من قهر ملوك عظام والسيطرة عليهم .

● وان معرفة متواضعة عن الذات مفضلة عن سائر أنواع المعارف الأخرى مهما علت .

● وان اخضاع وقطع ميول الانسان الشريرة وشهواته مهما كانت ضئيلة عمل يستحق مديحاً أكثر من هدم قلاع عديدة ، أو غلبة جيوش قوية مجهزة تجهيزاً قوياً ... بل وأكثر من قوة عمل المعجزات واقامة الموتى .



٨

لا تتسرع فى الحكم
(أسباب حكمنا الخاطئ على الأشياء ، وكيف نكون فكرة صحيحة عن الأمور)

إن السبب فى أحكامنا الخاطئة التى نصدرها على بعض الأمور ، قد ذكرناه سابقاً ، وهو إننا لم ننظر بعمق الى هذه الأمور كى نرى ونعرف ما هى ، بل سرعان ما نميل اليها أو نبغضها من مجرد نظرة أولية مصدرين الحكم عليها بحسب الظاهر ، هذه الأنواع من المحبة والكراهية هى التى تظلم عقلنا ونجعله متحيزاً فى أحكامه . فلا يستطيع أن يكوِّن حكماً صحيحاً واقعياً . فإن أردت يا أخى أن تتحرر من هذا الوجع ، امسك زمام رغباتك (أهوائك) بقبضة من حديد ، ولا تسمح لنفسك بأن تحب شئ أو تكرهه من أول نظرة ، بل امتحنه فى الذهن وحده بكل دقة . فالذهن الذى يفحص الأمور بدقة يبقى فى حالة طبيعية من الحرية والنقاوة . ويتمكن من معرفة الحق وتبيانه ، ويستطيع أن ينفذ الي أعماق الشئ .... لأنه كثيراً ما يكون الشر مستتراً تحت مظاهر جذابة خداعة ، بينما الخير يختبئ أحياناً تحت مظهر ردئ .

أما إن تسلطت الأهواء عليك ، فسرعان ما تحب شيئاً ، أو تنفر منه ، حينئذ لا يقدر ذهنك أن يعرفه كما يجب ، لأنه إن كان وجع التحيز يسبق كل تقدير لأى شئ ، فإنه يصير حاجزاً بين العقل والشئ المراد تقديره إذ ذاك يقيِّم الذهن ، لأن أحكامه كلها تكون صادرة عن الأوجاع ، ولا يستطيع أن يرى الشئ كما هو فى الواقع . وهذا يقوى التحيز ، **وكلما زاد التحيز ، كلما ازداد العقل اظلاماً ، حتى يصل الى الظلمة كاملة .** فيصل الوجع الى أقصى مداه فيرى الشخص أن أمراً معيناً هو أحب الأشياء لديه ، أو أكثرها كرهاً بالنسبة له وحده .

فإذا لم يكبح جماح الهوى الذى يجعل أموراً محبوبة وأخرى مكروهة قبل فحصها جيداً ، تفسد قوتا النفس - العقل والارادة - وتكون أحكامهما خاطئة دائماً غائصين لعمق عميق من خطية الى خطية ، ومن ظلمة الى ظلمة .

لذلك راقب نفسك يا حبيبى بكل يقظة وحرص ، واحم ذاتك من التحيز على ضوء :

- الافراز والتمييز .
- كلمات الحق فى الأسفار الإلهية .

- النعمة والصلاة .

- ارشادات أبيك الروحى .

وإلا ستخطئ باعتبارك الخير الحقيقى شراً ، والشر الحقيقى خيراً . وهذا ما يحدث غالباً فى حالات معينة التى هى مقدسة وصالحة فى حد ذاتها ولكن لم تواتيها ظروف مناسبة مثل :

✢ أن تكون تمت فى وقت غير مناسب .

✢ أو فى مكان غير مناسب .

✢ أو ليس بالقدر المناسب .

وهكذا تحدث ضرراً ليس بقليل لمن أتموها .

نحن نعرف عن اختيار ، مقدار الآلام التى تحملها البعض من جراء أفعال مقدسة ونافعة من أجل هذه الأسباب .

✢ ✢ ✢

٩

مـرض المعرفـة الزائدة

(حراسة الذهن من المعرفة الزائدة ، العديمة الفائدة ، والتحريضات البائدة)

كما أنه من الضرورى حماية الفكر من الجهل ، هكذا أيضاً من الضرورى حمايته بنفس المقدار من العكس ، أعنى المعرفة الزائدة عن الحاجة وحب الاستطلاع ، لأننا إن حشونا الذهن بالمعلومات والآراء والأفكار التى لا تخرج عن كونها باطلة وغير مناسبة وضارة ، فنحن نشتت قوته . حتي أنه لا يقدر أن يفهم فيما بعد ما هو مفيد لأجل تقويم الذات ولأجل الكمال . لذلك ينبغى أن تتحكم فى ميولك بالنسبة للمعلومات عن الأمور الأرضية ، كشخص قد مات من قبل حيث يمكن الاستغناء عنها حتى ولو كان مسموحاً بها .

اجمع عقلك دائماً الى داخل نفسك بكل تركيز ممكن ، واحفظه حراً من التفكر فى الأمور العالمية . فلتكن قصص الماضى وأخبار الحاضر كشئ عابر ، وليكن كل تغير فى العالم وممالكه كما لو كانت غير موجودة على الاطلاق بالنسبة لك . وإن أحضر لك أى شخص مثل هذه الأخبار لا تعبأ بها بل اطردها

من قلبك وخيـــالك . استــمع الى مــا يقوله القـديس باسيليوس : « ليكن الاستماع الى الأخبار العالمية كطعام الحنظل بالنسبة لك ، ولتكن كلمات القديسين كالأقراص الممتلئة شهداً » استمع أيضاً لكلمات داود : « تكلم معى مخالفوا الناموس بكلام هذيان ، لكن ليس كناموسك يا رب » مز ١١٨ : ٨٥.

٩- أمل بسمعك فقط الى الأمور السمائية الروحانية وادرس فيها ، ولا تشتهِ أن تعرف شيئاً فى الدنيا سوى « يسوع المسيح وإياه مصلوباً » ١ كو ٢ : ٢ . سوى حياته وموته وما يطلبه منك . فإنك إن فعلت هذا تكون سائراً بالفعل فى طريق ارضاء الله الذى يأخذ اليه كل أخصائه ومحبيه وممن يحبونه ويحاولون صنع ارادته .

١٠- أما كل استفسار عن أمور أخرى هو وليد حب الذات ، وطعام الكبرياء . انها شباك الشيطان وأغلاله حين يرى قوة المتنبهين لحياتهم الروحية ونيات ارادتهم ، فيشتاق الشيطان أن يهزم عقولهم عن طريق حب الاستطلاع هذا ، كى يملك عقولهم وارادتهم . من أجل هذا قد تعوّد الشيطان أن يلقى بأفكار عالية وخداعة وغريبة لا سيما لأولئك الأذكياء جداً ، والذين يسهل عليهم

استنتاج تأملات عالية .وحين ينجذبون بواسطة لذة البحث واستقصاء الأفكار العالية ، ينسون الاهتمام بنقاوة قلبهم ، وبأن ينظروا الي أنفسهم نظرة متواضعة كما ينسون اماتة الذات الحقيقية وإذ يسقطون فى فخ رباطات الكبرياء والعجب يقيمون لعقولهم تمثالاً. وهكذا قليلاً قليلاً ومن غير أن يدركوا يسقطون فى فكر عدم احتياجهم الى نصيحة أو ارشاد من الآخرين إذ تعودوا فى كل الحالات أن يلجئوا بسرعة الى تمثال معرفتهم وفطنتهم .

إن هذا شئ خطير ، ولا يسهل شفاؤه . ان كبرياء العقل أسوأ بكثير من كبرياء الارادة ، لأن العقل إذ ينظر كبرياء الارادة يمكن أحياناً أن يعالج بسهولة بالخضوع تحت نير ما هو صالح. أما إذا كان العقل مثبت تماماً فى فكر الاعتماد على نفسه ومقتنع بأن تدبيره أفضل من تدبير الآخرين ، فمن يستطيع أن يشفيه فى النهاية ؟ هل سيطيع أى شخص إن كان متأكداً من صلاح مشاعره وأن تدابير الآخرين ليست صالحة مثل تدابيره هو ؟ حينما تعمى عين النفس - العقل - بالكبرياء تلك التى بها يرى الانسان كبرياء الارادة ويقومها ، فمن سيقوّم الارادة ويشفيها ؟ إن كل ما بالداخل سيضطرب لأنه لا يوجد من يصنع كمادات الشفاء .

لذلك لا تتوانى فى استئصال داء كبرياء الذهن الوبيل ، قبل أن ينفذ الى نخاع عظامك . قاومه وبسرعة إلجم عقلك ، واخضع رأيك لآراء الآخرين باتضاع ، وكن جاهلاً من أجل الله كى تكون حكيماً أكثر من سليمان « **ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلاً لكى يصير حكيماً**» ١ كو ٣ : ١٨ .

+ + +

١٠

تدريب الارادة فى ارضاء الله

(كيف ندرب ارادتنا ليكون هدفها الوحيد هو ارضاء الله فى كل الأشياء الخارجية والداخلية)

بجانب تدريبك لعقلك ليتهذب ، عليك أيضاً أن تتحكم فى ارادتك كى لا تجنح منك نحو أهوائك الشخصية بل يجب أن تقودها كى تكون مطابقة تماماً لارادة الله . أكثر من هذا ضع فى ذهنك جيداً، **أنه لا يكفى مجرد أن ترغب وتطلب أن ترضى الله دائماً وفى كل شئ ، بل ينبغي أن تكون رغباتك كما لو كانت متحركة من الله ذاته ، لأجل هدف واحد – هو أن ترضيه بقلب نقى** . ولكى ندرب أنفسنا على السير دائماً نحو هذا الهدف ، علينا أن نتحمل جهاداً أعظم ضد طبيعتنا أكثر من أى شئ . لأن طبيعتنا قد تعودت ارضاء نفسها ، لدرجة أنها تطلب راحتها ولذتها فى كل أعمالها حتي ولو كانت أعمالاً روحانية وصالحة جداً ، وهى تتغذى عليها سراً لصالح شهواتنا كما لو كانت طعاماً تريد أن تقتات به .

ليكن الكل من أجل الله

وهكذا يحدث ، أنه عندما تعرض علينا فرصة عمل روحانى ، نميل أن ننجزه بسرعة وننندفع نحوه بعنف ، ليس كأناس يتحركون بارادة الله . وليس الغرض الوحيد هو ارضاؤه ، ولكن من أجل التعزية والفرح المتولدان فينا حينما نرغب ونطلب ما يريده الله منا . هذا الداء من أكثر الأوجاع خداعاً واختفاءً لأن الأمور التى يطلبها بطبيعته أموراً روحانية سامية . وهذا هو السبب كما قلت أن لا نرغب مشيئة الله فقط ، بل ينبغى أن نرغب فيها كيفما شاء هو ، ومتى شاء ، وبسبب وغرض مشيئته والرسول أيضاً يعلمنا أن نختبر مشيئة الله ليس من حيث صلاحها فقط ، بل أيضاً من جهة ما إذا كانت مُرضية عنده ، وكاملة من جميع النواحى فيقول : « **لا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم فتختبروا ما هي ارادة الله الصالحة المُرضية الكاملة** » رو ١٢ : ٢ .
هذا يأتى بنا الى نتيجة هى أنه حتماً ونحن راغبين فى الله ذاته وطالبين إياه ، فحتى هذه الرغبة وهذا الطلب يمكن أن ينطوى على أخطاء أو نقائص ، وربما يختلط به بعض شوائب حب الذات والمجد الباطل . لأننا معرضون أن نهتم بخيرنا الخاص أكثر من الاهتمام بمجد الله . ونعمل أشياء من أجل نواتنا وليس من أجل

الله . فالله لا يقبل من أعمال إلا ما كان لمجده وحده فقط ، وهو يريدنا أن نحبه هو وحده ، ونرغبه هو وحده ، ونعمل له وحده .

تدريب عند البداية فى كل عمل

لذلك يا أخى ، إن أردت أن تؤمّن نفسك ضد المكامن المختبئة فى طريق الكمال ، إن كنت تريد أن توطد ذاتك جيداً على هذا المبدأ – أن ترغب وتعمل الأمور لأنها فقط بحسب مشيئة الله، مريداً إياها لمجده ومشتغلاً بها من أجله هو وحده .... لأنه يشاء أن يكون هو البداية والنهاية فى كل أفعالنا وأفكارنا – فاعمل بالطريقة الآتية :

حينما يكون أمامك عملاً صالحاً فى حد ذاته ، متفقاً مع ارادة الله ، **فلا تمل اليه بارادتك سريعا ، ولا ترغب فيه ، قبل أن ترفع عقلك الى الله أولاً** ، كى تستوضح هل هى رغبة مستقيمة من الله يريدك أن تقوم بتنفيذها ، وهل هى مقبولة لدى الله منك ... وحينما ترى أن أفكارك قد هدأت ، وأن ميلان ارادتك هو من مشيئة الله حينئذ ارغب فى هذا العمل وتممه ، لأن الله يريده منك ، وانك تعمله بسبب انك تريد ارضاءه وتمجيده هو وحده .

بنفس الطريقة ، حينما تريد أن تترك شيئاً غير صالح ولا يتفق وإرادة الله ، لا تتباعد عنه بسرعة ، بل ثبت عينىَ عقلك أولاً

على ارادة الله كي تتأكد أن ارادة الله المستقيمة هي أن تتباعد عنه من أجل مرضاته .

كيف نختبر أن ارادتنا متفقة مع ارادة الله

إن خداع الذات فى طبيعتنا دقيق جداً ، وقليلون هم الذين يميزونه لأنه يبلغ مأربه سراً بينما يبدو مظهره الخارجى متفقاً مع مبدأ ارضاء الله مع أن واقعه ليس كذلك . وهذا ما يحدث كثيراً ، إننا نريد أو نرفض أمراً ما لمصلحتنا الخاصة ولتمجيد ذواتنا فى الواقع ، ولكن نظن أننا نطلبه مرضاة لله ، والوسيلة الوحيدة لاكتشاف هذا الخداع الخفى ، وابعاده . هى نقاوة القلب الذى يكون برفضنا آدم العتيق ونلبس ذواتنا الانسان الجديد . هذا هو هدف وغرض كل المحاربات الروحية .

إن أردت أن تتعلم كيف تعمل هذا ، فاصنع : حينما تبدأ فى عمل شئ ما ، اجمع ذاتك بكل ما تستطيع عن جميع رغباتك الخاصة ، ولا تريد أن تفعل هذا الشئ أو تتباعد عنه ، حتى تدرك ان المحرك الذى يجذبك نحوه هو الإحساس بإرادة الله . إن كنت لا تقدر أن تدرك بحيوية تحريك الله لك فى كل أعمالك ، سواء كانت خارجية أم داخلية تخص نفسك فاكتفى بالتدريب على جعل هذا الادراك ممكناً . بمعنى ، أن تدبر نفسك باخلاص ولا تحفظ فى ذهنك شيئاً ما خلا رضاء الله .

ربما نتلمس شعور تحريك الله لنا عن طريق ومضات إلهية أو استنارات عقلية يعلنها الله لقلوب نقية في تأمل، أو عن طريق إلهام إلهي في الداخل ، ببعض الكلمات الداخلية ، أو عن طريق بعض الأعمال الأخرى للنعمة الإلهية ، محدثة التهاباً محيياً في قلب نقي ، أو فرحاً لا ينطق به ، أو نشوة روحية ، أو حركة حنو ورقة ، أو عبرات من صميم الفؤاد ، أو حب لله ، أو مشاعر أخرى محببة لله ، تكون ناتجة ليس عن ارادتنا بل من الله ، ليس بعملنا بل ونحن في سكون وتقصير . مثل هذه المشاعر يمكن أن تكون تأكيداً لاتفاق ما تفعله مع ارادة الله . ولكن قبل كل شئ علينا أن نرفع الي الله صلاة حارة نقية متوسلين اليه بكل مثابرة مرة ، ومرتين ، ومرات كثيرة كي ينير ظلمتنا ويعلمنا . « صلى ثلاث مرات» هكذا يقول الآباء العظام برصنوفيرس ويوحنا « حينئذ افعل ما يميل اليه قلبك» . زيادة على ذلك ، لا تنس أن كل القرارات المتكونة فيك نتيجة للحركات الروحية الداخلية التي ذكرناها ، ينبغي أن تتمشى مع نصائح وارشادات المختبرين .

لاحظ نفسك ... لئلا تميل ارادتك

بالنسبة للمشروعات التي تستغرق وقتاً طويلاً ، أو التي تستمر مدى الحياة ، علينا أن نضع في قلوبنا بثبات أننا نمارسها

ارضاء لله فقط ، وهذا ليس فى البداية فقط ، بل علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والحين ، ونجدد هذا التثبيت فى القلب مرات عديدة حتى النهاية.لأنك إن تغافلت عن هذا ربما تكون فى خطورة للوقوع في حب الذات الكائن طبيعياً فينا ، ذاك الذى يميل الى ارضاء نفسه أكثر من ارضاء الله ، ومع مرور الزمن غالباً ما ينجح فى تحويلنا بعيداً عن الصلاح ، وفى تغيير نوايانا وأهدافنا الخيِّرة دون أن نشعر . ولذا كتب القديس اغريغوريوس السينائى « احذر من نوايا ارادتك وانتبه الى أى طريق هى مائلة ، هل نحو الله أم نحو نفعك الذاتى ، وفائدتك شخصياً ، وكونك جالساً فى السكون مزمراً وتالياً صلوات أو متمماً أعمالاً صالحة أخرى لئلا تكون سارقاً دون أن تدرى » .

لذلك فإن لم يراقب الانسان نفسه جيداً ، ربما يبدأ نشاطاً معيناً بغرض ارضاء الله وحده ، ولكنه بعد ذلك بقليل ، يتداخل معه دافعاً ذاتياً فيجد فى نشاطه اشباعاً لرغباته الخاصة ، وهكذا حتى تصبح ارادة الله منسية فى الانسان نهائياً ، ولكنه يظل مربوطاً بلذة العمل ، حتى إن منعه الله ذاته عن هذا العمل، بواسطة بعض الأمراض ، أو عن طريق تجارب من بشر أو شياطين ، أو ببعض الوسائل الأخرى ، يمتلئ حنقاً ، ويلوم شخصاً أو أخر لتدخله فى تدبير الأمور التى يحبها ، وأحياناً

يتذمر حتى على الله ذاته . هذه علامة أكيدة أن نية قلبه لم تكن من الله بل خرجت من جذر حب الذات الفاسد النتن .

ليكن أمامك هدف ارضاء الله دائما

إن الشخص الذى يتحرك بحسب ارادة الله النقية ، ولا يبغى إلا رضاه ، لا يفضل عملاً آخر حتى ولو كان أحدهما عظيماً وسامياً والآخر متواضعاً وبسيطاً ، بل تكون له نية واحدة متساوية نحو كليهما ماداما يرضيان الله ، حتى أنه سواء عمل شيئاً غالياً عظيما أم متواضعاً بسيطاً يظل محتفظاً بهدوئه لأن نيته الوحيدة وهدفه الأقصى هو ارضاء الله دائماً وفى كل ما يعمله سواء فى حياة أم فى موت ، رافضاً كل ما عدا هذا كما يقول الرسول « لذلك نحترص أيضاً مستوطنين كنا أو متغربين أن نكون مرضيين عنده » ٢ كو ٥ : ٩.

لذلك راقب نفسك دائماً يا حبيبى ، وانحصر فى الداخل مشتاقاً بكل الوسائل التى فى قدرتك أن توجه كل نشاطك نحو هذا الهدف الوحيد .

إن حركتك دوافعك الداخلية لتصنع أمراً كى تهرب من عذاب الجحيم أو كى ترث السماء . فوجه نشاطك عقلياً نحو الهدف الأسمى - أن ترضى الله بطاعتك ارادته ، لأن ارادة الله هى أن تذهب الى السماء ، ولا تلقى فى الجحيم .

إن ادراك كمال عظم قوة هذا المبدأ وقدرته مخفى عن كثيرين لأن اعمالاً بسيطة وغير هامة فى حد ذاتها تصير فى نظر الله عظيمة القيمة بصورة لا نهائية لأنها عملت ارضاء لله ومجداً لاسمه ، بعكس أعمال أخرى كثيرة ومجيدة ولكنها أنجزت ليس من أجل الغرض المستقيم أى ارضاء الله .

ان الله يسر حين يراك تعطى لسائل مليماً كى ترضيه هو وحده تبارك اسمه أكثر من تركك لكل ممتلكاتك من أجل أغراض أخرى غريبة . حتى ولو كانت كى تنال بركات سمائية ، رغم أنها رغبة صالحة ومحمودة .

هذا التدريب الداخلى - الواجب أن تمارسه فى كل شئ تعمله - تدريب توجيه أفكارك ومشاعرك وأعمالك نحو ارضاء الله فقط ، سيكون صعباً فى البداية ولكنه فى النهاية سيصبح سهلاً وخفيفاً إن راعيت :

أولاً : تدريب نفسك باستمرار فى هذه المحاولة الروحية .

ثانياً : حفظ اشتياقاتك ملتهبة دائماً نحو الله ، متنهداً بحنين قوى من القلب للخير المطلق المستحق أن نفكر فيه ونخدمه ونحبه فوق كل الأشياء . فبمقدار كثرة لهفتنا على الله الغير محدود فى مشاعرنا وعمق نقائها ، بمقدار كثرة أعمالنا وحرارتنا فى انجازها بسهولة ويسر ، بسبب العادة المتأصلة فينا بأن نعمل كل شئ حباً فى الله وحده ، مدفوعين برغبة ارضائه إذ هو الأولى من كل شئ بأن نحبه وأن نرضى صلاحه .

١١

تذكار أعمال الله معنا يدفع ارادتنا نحو رضائه

لكى تحرك إرادتك بأكثر سهولة ويكون لها هذه الرغبة الوحيدة فى كل شئ - أى أن ترضى الله وتعمل لمجده وحده - ذكّر نفسك دائماً أنه قد وهبك انعامات كثيرة فى الماضى . وقد أظهر لك حبه . لقد خلقك من العدم على صورته ومثاله . وجعل كل المخلوقات الأخرى فى خدمتك . لقد أنقذك من عبودية الشيطان ولم يرسل ملاكاً ولا رئيس ملائكة ليفديك بل أرسل ابنه الوحيد لكى لا يفديك بأشياء تفنى ، بفضة أو ذهب بل بدمه الذى لا يقدر ثمنه وبموته المهين المشحون آلاماً وإذ فعل كل هذا فهو لا يلبث يحميك كل ساعة وكل لحظة من أعدائك ، ويحارب معك فى معاركك بنعمته الإلهية ، وفى أسراره المحيية يعد لك جسد ودم ابنه الحبيب طعاماً لك كى يقيتك ويعتز بك .

هذا كله علامة على أنعام الله وحبه الكبير لك ، انعامات عظيمة لدرجة أنها غير مدركة ، كيف أن رب الصباؤوت العظيم يهب مثل هذه الإنعامات لعدمنا وعدم استحقاقنا ، فأى شرف وتكريس ينبغى أن نقدمهما لجلاله غير المحدود ، الذى صنع مثل هذه الأمور من أجلنا ، إذ كنا لا نستطيع تقديم الشكر والحمد

والمجد والطاعة للوك أرضيين كما يليق على أنعامهم ، فكم بالأكثر الى ما لا يقاس ينبغى علينا نحن غير المستحقين أن نقدم الى جلال رب الصباؤوت العظيم ، الذى أحبنا ووهبنا انعامات لا تُحصى .

بل أكثر من كل ما قيل ليكن فى ذهنك أن عظمة الله جديرة بكل عبادة وحمد فى حد ذاتها ، وخدمتها من كل القلب مقبولة لديه .



١٢

في الأهواء والميول العديدة الكائنة في الانسان ، وتصارعها مع بعضها البعض

إعلم انه فى هذه المحاربات الروحية توجد إرادتان متصارعتان فينا ، إحداهما ضد الأخرى : واحدة تنتسب الى الجانب العقلى من النفس وتعرف بالارادة العاقلة وهى الأسمى ، والأخرى تنتسب الى الجانب الحسى ، ولذا تُعرف بالارادة الحسية وهى الأدنى ، ويطلق على الأخيرة دائماً الارادة البهيمية الجسدية أو ارادة الأوجاع .

والإرادة السامية دائماً لا تطلب أى شئ سوى الخيِّر ، والأدنى لا تطلب سوى الشر . كل يحدث بالتساوى من تلقاء ذاته، حتى أن الخير لا يطلب فى ذاته لأنه خير ، والشر لأنه شر. ولكن التقدير متوقف على ميلان ارادتنا الحرة الخاصة . ولذا فحين تميل ارادتنا نحو رغبة صالحة تكون محسوبة لنا ، ولكن حينما نميل نحو رغبة شريرة تُحسب علينا . هاتان الرغبتان تتبع إحداهما الأخرى : فحينما تواتينا رغبة فى عمل الخير تعاكسها على الفور رغبة شريرة مضادة ، وحينما تأتى رغبة شريرة تقاومها بسرعة رغبة خيِّرة وارادتنا حرة لتميل نحو أيهما .

والرغبة التى تميل اليها ارادتنا تعتبر غالبة في هذه الحالة ... وكل محارياتنا الروحية تدور حول هذا . فهدفنا أن لا نميل بإرادتنا نحو الرغبة السفلى التى هى ارادة الأوجاع الجسيمة ، بل نتبع الإرادة العاقلة السامية لأنها ارادة الله ، نتبع قانون وجودنا الأساسى : **اتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الانسان كله** ، جا ١٢ : ٣ . هكذا يقول الجامعة ، وكل من هاتين الرغبتين تجذب إرادتنا نحوها راغبة فى إخضاعها . فاطفئ الرغبة الجسدية السفلى وسر وفق ما تمليه عليك الأسمى لكى يتحقق لك النصر - ولكن إن أنت أهملت الأسمى وأخذت السفلى فستجد نفسك مغلوباً ، ويعبر القديس بولس عن هذا قائلاً : « **إذا أجد الناموس لى حينما أريد أن أفعل الحسنى أن الشر حاضر عندى . فانى أسر بناموس الله بحسب الانسان الباطل ولكنى أرى ناموساً آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى أعضائى** » رو ٧ : ٢١-٢٣ . وأعطي قانوناً شاملاً «**اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد**» ، غل ٥ : ١٦ . وهذا لا يتم إلا بالجهاد ضد الجسد .

جهد شاق ومجهود مضن ينبغى أن يبدأ به أولئك الذين قرروا أن يغيِّروا حياتهم الجسدية العالمية الي حياة البر وأن يهيئوا ذواتهم للتدريب على حب الله وخدمته بإخلاص ، لأنهم

قيدوا أنفسهم من قبل فى عادات شريرة بإرضاء رغباتهم الجسدية وإرادة الأوجاع .

ورغم من إرادتهم العاقلة ، التى قرروا ورغبوا أن يتبعوها تقف على جانب من ارادتهم الحرة ينشطها الله ، ولكن على الجانب الآخر تقف هناك الرغبات الجسدية وإرادة الأوجاع حيث لا يزالون يشعرون بحنين اليها ، فتقاومها الأولى وتحاول أن تجذبها لجانبها بنفس القوة ، كدواب الحمل التى يشدها اللجام . نعمة الله وحدها هى التى تعطى لهم قوة الثبات فى القرار الذى اتخذوه ... ومع المقاومة الطويلة للجذب ، وعدم اعطاء فرصة نصر للأوجاع الدنيئة وهكذا تمتص عصارة الرغبات الجسدية فى الانسان ومع كل هذا لا ينتهى الجهاد .

فلا يمكن لأحد بأن يصل الى وضع مسيحى حقيقى أو فضيلة مسيحية ، أو عمل من أجل الله أو كما يشاء الله ، دون أن يجبر نفسه على أن يهجر ويغلب سائر ضغطات الأوجاع الجسدية كبيرة كانت أم صغيرة تلك التى كان قد اعتاد أولاً أن يشبعها برغبة وارتياح .

التنمية الحقيقية للقلب

إن السبب فى أن أناساً لا يصلون إلى ملء الكمال المسيحى هو عدم اهتمامهم-اشفاقاً على ذواتهم - أن يجبروا أنفسهم

على انكار الذات بصورة مطلقة وفى كل شئ فإنهم بعد أن يتغلبوا على ميول الأوجاع الكبرى ، لا يعبأون بالصغرى التى تبدو قليلة الأهمية . ومن حيث أن هذه الميول الصغيرة (١) هى رد فعل وليد هذه الكبيرة فبالتغاضى عنها لا بد أن تنمو وتكبر وهكذا تستمر موجودة تعمل فى القلب بالرغم من أنها فى الواقع لا تظهر نفسها على نطاق واسع . وهكذا يظل القلب غير نقى من أوجاعه ، وفوق كل شئ لم يتحرر مثقال ذرة من التساهل مع النفس والاشفاق على الذات وربما يعطل هذا الأمر كل تقدم فينا بقصد إرضاء الله .

أمثلة

يوجد مثلاً أشخاص يمتنعون عن الاستيلاء على ممتلكات الآخرين بينما هم مرتبطين بشدة بما لهم . ويوجد قوم يملكون أن يقدموا عطاياهم للآخرين لوفرة ما عندهم ولكنهم يترددون فى عمل الخير ، آخرون لا يبحثون عن الكرامة بوسائل شريرة ، ورغم ذلك لا يحسبون أنفسهم لا شئ ، فيحزنون إن لم يرحب بهم ويطلبون الكرامة من كل أحد رغم أنهم يظهرون أنهم لا

---

(١) خذوا لنا الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم . لأن الميول الصغيرة عندنا تجد فرصة تصير اكبر ضررا .

يسعون فى طلب هذه الكرامة ، آخرون يمارسون أصواماً طويلة بحسب المفروض ولكن حينما تحين ساعة الافطار يشبعون شهوة الطعام الى الملء ويأكلون جيداً ، الأمر الذى يجرد الصوم من كل قيمة ، آخرون يسيرون حياة طاهرة ، ولكن رغم هذا يستمرون فى اتصالاتهم ودالتهم مع الناس الذين يعشقونهم ، غير راغبين أن يفهموا أن الاستمتاع بمثل هذا يقيم سداً شامخاً أمام الكمال فى الحياة الروحية والاتحاد مع الله .

العيوب التى فى الطبيعة يمكن تهذيبها أيضا

سأضيف الى هذا الحقيقة التالية : إن الناس عادة لا يهتمون بالعيوب الطبيعية التى فى أخلاقهم التى رغم عدم اعتمادها على الإرادة الشخصية ، إلا أنها تدير الانسان إن كان يرى مقدار تداخلها مع الحياة الروحية ولا يتحرك كى يبيدها بالكمال ولا يحاول أن يحفظها داخل حدودها غير الضارة ، رغم أن هذا يمكن الوصول اليه بمعونة الله . وبحسب حرص الشخص وغيرته . هذه النقائص هى مثلاً : الترفع والتباعد ، حدة الطبع ، الحساسية المفرطة وما يتبعها من كلمات وحركات وأفعال سريعة بلا تفكير ، الخشونة والجفاء ، التشكك ورثاء الحال ، التشبث بالرأى ، حب الجدال ... إلخ . كل هذه نقائص طبيعية وأخطاء يجب تهذيبها فى البعض بالتقليل وفى البعض بإضافة

الناقص كى يتحوَّل كليهما الى الصلاح . لأنه لا توجد سمة طبيعية ، ولا أمر فطرى عتيد يقدر أن يقف أمام الارادة إن سلحت بنعمة الله مع المقاومة بكل حرص وفطنة .

وهكذا يحدث أن البعض يتممون أعمالاً صالحة ، ولكن هذه الأعمال تبقى ناقصة عرجاء مخلوطة بالشهوات التى من العالم (١ يو ٢ : ١٦) فلا يحرزون تقدماً فى طريق الخلاص ، بل ويدورون حول نقطة واحدة ، بل غالباً يلتفتون نحو الخلف ساقطين فى خطاياهم الأولى مرة أخرى . هذا يدل على أن حبهم للحياة الحقيقية فى المسيح لم يكن من البداية من كل القلب . وأنهم لم يكونوا ممتلئين بدرجة كافية من شعور الامتنان نحو الله الذى أنقذهم من قوة الشيطان ، ولم يكونوا كاملين فى قرارهم للعمل من أجل الله فقط ولارضائه وحده . ونتيجة لهذا يبقى مثل هؤلاء الناس غير مدربين فى الخير ، عمياناً لا يبصرون الخطر المحدق بهم ، بل ظانين أنهم راسخون فى الخير ولا يوجد أى شر يتهددهم .

من أجل هذا يا أخى المحبوب فى المسيح ، أتوسل اليك أن تحب الطريق الكرية والأحمال الثقيلة التى لا بد أن ترافق محارباتنا الروحية إن كنت تريد أن يكون النصر حليفك اسمع ما يقوله

الحكيم ابن سيراخ « **لا تكره الأعمال التعبة** » سى ٧ : ١٥ . لأن هذا هو أساس المحاربات الداخلية كلها . وبمقدار ما تكون نصرتك سريعة وكاملة فتنتصر على ذاتك ، وعلى ما هو كائن فى ذاتك يقاوم الخير الأسمى . وبهذا ستمتلئ من كل فضيلة وكل صلاح ، وسيحل عليك سلام الله .

+ + +

١٣

في كيف تحارب ضد ارادة الحسيات البهيمية ، والتداريب المطلوبة لاكتساب الفضائل واختبارها

فى كل وقت ، تقع إرادتنا الحرة تحت تأثير وجذب من ارادة الحسيات البهيمية من جهة وإرادة الله المتكلمة فى الضمير من جهة أخرى ، كل منهما تبغى أخذها إلى صفها . فيجب عليك إن كنت تشتاق الى الخير بإخلاص ، أن تبذل كل جهد مناسب من جانبك كى تساعد إرادة الله على الانتصار فيك ، ولأجل أن تصل الى هذا :

✣ بمجرد أن تشعر بضغطات إرادة الأوجاع الحسية الدنيئة ، عليك أن تستعمل كل الطرق لتقاومها ، ولا تسمح لإرادتك الخاصة أن تميل الى الحسيات قيد أنملة ، بل اسحقهم واقطعهم وأبعدهم عنك بشدة مستعملاً ارادتك العنيفة .

✣ كى تتوصل الى هذا بنجاح ، وبأفضل طريقة ، أسرع بأن تضرم فيك اشمئزازاً من كل القلب لهذه الضغطات كما نحو أعدائك الذين يريدون أن يسرقوا ويهلكوا نفسك واغضب عليهم .

✣ فى نفس الوقت لا تنسى أن تستغيث بربنا يسوع المسيح معيننا فى جهادنا سائلاً مساعدته وحمايته ، كى يقوى ارادتك

الفاضلة ، لأنه بدونه لا تستطيع أن تحرز أى تقدم فى حياتك .

✢ إن أجريت هذه الأفعال الثلاثة فى نفسك داخلياً بإخلاص، فهى لا تفشل فى اعطائك النصرة على ضغطاتك الشريرة ، ولكن هذا يعنى طرد الأعداء بعيداً عنك فقط ، ولكنك إن أردت أن تسحقهم فى عقر دارهم ، فيمكنك حينئذ أن تبادر بالقيام بإجراء يعارض ما تقدمه ضغطات الأوجاع ، وإن أمكن تضع فى قلبك أن تفعله دائماً . هذا التدريب الأخير سيحررك أخيراً بالتمام من تجديد الهجمات التى تختبرها .

سأصور لك هذا بمثال : افرض أن أحدهم أساء اليك بشئ كبير أم صغير أثار فى نفسك حركة ضيق واضطراب مصحوبة بفكر الرد بالمثل . فانتبه الى ذلك وتأكد أن هذه الحركات تريد استمالتك لشر ، فاتخذ حينئذ عتاد الدفاع كمحارب :

أ- أوقف هذه الحركات ولا تتركها تنفذ الى أعمق مما وصلت اليه ، ودع ارادتك تقوم بدورها فى المقاومة .

ب- لكى تتوصل الى هذا بنجاح - رغماً عن قوة الذى لم يزل قريباً منك مستعداً ليجدد الهجوم عليك ، لذلك أعلن غضبتك عليه لتحمى ذاتك حتى تقدر أن تقول بإخلاص « أبغضت الكذب وكرهته أما شريعتك فأحببتها» مز ١١٩ : ١٦٣ .

أو « **بغضاً تاماً أبغضتهم ، صاروا لى أعداء**» مز ١٣٩ : ٢٢ هذه ستكون ضربة عظيمة لأوجاعك وستخف عنك ولكنها لن تنمحى .

جـ - حينئذ اطلب الله « **اللهم التفت الى معونتى يا رب أسرع وأعنى** » مز ٧٠ : ١ . ولا تكف عن الدعاء حتى لا يبقى أى أثر للحركات الشريرة ، وتستعيد النفس سلامها .

د- وبعد استعادة نفسك لسلامها هكذا ، اصنع رحمة لمن أساء اليك ، واظهر محبتك له بكلمة صداقة مثلاً أو معروف يناسب الوقت . فهذا يعنى اتباعك وصية الرب لداود « **حد من الشر واصنع الخير** » مز ٣٤ : ١٤ . هذه الأعمال تقودك مباشرة الى اكتساب الفضيلة التى تعارض حركات الأوجاع التى ضايقتك ، والتعود على هذه الفضيلة يضرب الوجع الضربة القاضية ويقتله . حاول أن تتوقع بالافراز الداخلى تلك الأعمال التى تجعل مثل هذه الضغطات يستحيل مجيئها فى المستقبل والى الأبد . مثلاً فى المثال السابق اعتبر نفسك مستحقاً كل اهانة ومذمة ، وأعدد نفسك لترحب بكل أنواع الاهانة والتعيير ، رحب بهم وكن على استعداد أن تتقبلها وتنتظرها بكل فرح كأدوية نافعة وفعالة . فى حالات أخرى حاول أن تثير فى نفسك مشاعر واستعدادات مناظره . هذا يعنى طرد الوجع خارج قلبك

وبدلاً عنه تغرس الفضيلة المضادة له ، هذا هو هدف المحاربات الروحية .

غرس الفضائل فى النفس

سأعطيك توضيحاً يناسب كل الحالات بحسب ارشاد الآباء القديسين :

لنفوسنا ثلاثة أجزاء أو قوى - التفكير - الرغبة - الاستثارة . ومن أجل فسادها تولد فينا هذه القوى الثلاث ثلاثة أنواع مناظرة من الأفكار والحركات الرديئة . قوة التفكير تولد عدم العرفان بالجميل نحو الله ، والتذمر ونسيان الله ، والجهل بالأمور الإلهية ، ورداءة الأحكام التى تصدرها ، وكل أنواع أفكار التجاديف . وقوة الرغبة تولد أفكار حب اللذة . وأفكار المجد الباطل ، وحب الفضة بكل تشعباتها العديدة ، وكل ما يدخل فى دائرة التهاون اشفاقاً على الذات ، وقوة الاستثارة تولد أفكار الغضب والكراهية ، والحسد ، والانتقام ، والقساوة ، وضعف الارادة ، وبالاجمال كل الأفكار الشريرة .

عليك أن تغلب كل هذه الأفكار والضغطات بالطرق الموضحة سابقاً عاملاً فى كل حالة على أن تنبض فى قلبك مشاعر صالحة وتقيم استعدادات مضادة لها ، فبدلاً من عدم الايمان ليكن فيك

إيمان بلا شك في الله ، وبدلاً من الشكوى والتذمر ليكن فيك عرفان بالجميل بإخلاص نحو الله في كل شئ ، وبدلاً من نسيان الله ليكن فيك تذكر دائم عميق لله الكائن على الدوام والذي له القوة كلها ، وبدلاً من الجهل ليكن فيك تأمل واضح ، وفحص ذهني لكل حقائق خلاص النفس ، وبدلاً من عدم التمييز ليكن لك قدرات مدربة لتفصل بين الخير والشر وبدلاً من أفكار التجاديف لتكن مسبحاً وممجداً لله وبنفس الطريقة بدلاً من حب اللذة لتمرن نفسك على الزهد والصوم وإماتة الذات ، وبدلاً من المجد الباطل لتدرب نفسك على عمل كل شئ في الخفاء وبدلاً من حب الفضة لتنمو فيك فضيلة القناعة بالقليل وحب العطاء ، وأيضاً بدلاً من الغضب لتكن فيك الوداعة ، وبدلاً من الكراهية الحب ، وبدلاً من الحسد فرح مع الآخرين ، وبدلاً من الانتقام التسامح والمسالمة ، وبدلاً من القساوة الرأفة ، وبدلاً من الخشونة اللطف ....

وبالاختصار سأركز لك كل هذا في الفقرة التالية مع القديس مكسيموس :

زيّن قوة تفكيرك بيقظة دائمة لله ، وبالصلاة ومعرفة الحقائق الإلهية وقوة الرغبة بأفكار الذات بالكلية وترك كل تهاون اشفاقاً على نفسك وقوة الاستثارة بالحب .

فإنك إن فعلت هذا أؤكد لك أن نور عقلك لن يخبو ، ولا تجد الأفكار الرديئة مكاناً لها فيك على الاطلاق . إن كنت نشيطاً فى اقامة مثل هذه الأفكار الصالحة والاستعدادات الطيبة فى نفسك صباحاً ومساء وفى ساعات اليوم الأخرى فسوف لا تقترب منك محاربات غير منظورة على الاطلاق لأنك حينذاك تكون كلواء الجيش الذى يعد فصائله دائماً ، ويرتبها فى وضع التحفز للمعركة ، والاعداء تعرف أن الهجوم على مثل هذا اللواء غير عملى .

اهتم بالأكثر بالنقطة الأخيرة أى الأفعال المضادة لما تمليه أفكار الأوجاع واقامة المشاعر والاستعدادات المعاكسة لها . فبهذه الطريقة وحدها تقتلع الأوجاع من نفسك وتكون فى وضع أكثر سلاماً ، لأنه مادامت جذور الأوجاع باقية فيك فدائماً ستتسلل نامية وربما تعطل نمو الفضيلة فيك ، وأحياناً تخفيها نهائياً وتقصيها بعيداً ، فى مثل هذه الحالات نكون فى خطر السقوط فى خطايانا السابقة مرة أخرى ، وتحطيم ثمار عملنا كله .

من أجل ذلك اعلم أن هذا التدريب الأخير لا يمارس مجرد مرة واحدة ، بل دائماً ولمرات عديدة باستمرار ، حتى تحطم العادات الناتجة من الأوجاع وتسحقها وتهلكها تلك التى تحارب ضدها . لأن هذه العادات قد اكتسبت قوة على قلبك بسبب اعتياد

تكرار بعض الأفعال التى تشيع الوجع الكائن فى القلب فلا يكفى مقاومة الوجع فى القلب كى تضعف أو تهلك هذه القوة بل عليك أن تقوم بأفعال مضادة للأولى ، أفعالاً تعارض الوجع وتحطمه وتهلكه . وبتكرار قيامك بهذه الأفعال المضادة للوجع تستأصل العادة الرديئة وتقتل الوجع الذى يحركها ، وتغرس فى القلب الفضيلة المضادة لهذا الوجع .

أكثر من هذا - كى تكتسب عادات صالحة من الضرورى أن تكمل عدداً كبيراً من الأفعال الحسنة ، أكثر من عدد الأفعال الشريرة المطلوبة لتثبيت عادة رديئة . لأن الأعمال الرديئة تتأصل بسهولة إذ تساعدها وتؤازرها الخطية الساكنة فينا أى بالاشفاق على الذات ، ولهذا مهما كانت الصعوبة والشدة التى تظهر لك كى تكمل مثل هذه الأفعال المعارضة لأوجاعك ، لأن ارادتك نحو الخير لم تزل ضعيفة ، وبسبب مقاومة ارادة الاشفاق على الذات لا تترك أبداً هذه الأمور بل اجبر ذاتك بكل الطرق أن تمارسها دائماً ، مهما كانت غير كاملة فى البداية فإنهم سيدعمون ثباتك وشجاعتك فى المعركة وتمهد لك الطريق للنصرة .

لا تستهن بالأشياء البسيطة

سأضيف شيئاً آخر : اعمل دائماً ، اجمع انتباهك الى داخل ذاتك ، حارب بشجاعة ليس ضد المثيرات القوية العظيمة لأوجاعك

فقط ، بل تلك الصغيرة الضعيفة أيضاً . لأن الصغيرة تمهد للكبيرة لا سيما حينما تصبح عادة . لقد أثبتت الخبرة لمرات عديدة أنه حينما يتوانى انسان عن طرد أهواء الأوجاع الصغيرة من القلب ، بعدما يكون قد غلب الكبيرة فإنه يعرض لهجمات مفاجئة متوقعة من العدو ، تكون عنيفة جداً لدرجة لا يستطيع معها أن يثبت فى أرض المعركة ، ويكون سقوطه أشنع مما سبق، هذه حقيقة عملية ، فوق هذا اذكر بالحقيقة أنه عليك أن تقطع وتقتل كل ارتباطات وجعية بالأشياء الغير ضرورية بمجرد أن تلاحظ أنها تضعف قوة ارادتك نحو الخير ، أو تشتت انتباهك من ذاتك ، رغم كونها مسموح بها ، كالتجول للنزهة ، حفلات المساء، محادثات معينة ، أكل ، نوم وأمثال هذه الأشياء فستحصل على فائدة كبيرة من هذا ، لأنك تتدرب أن تكون سيداً على ذاتك فى كل الأمور المشابهة ، ستصير قوياً وخبيراً فى الجهاد ضد التجارب وستتجنب فخاخاً ضخمة وعديدة يعرف الشيطان جيداً كيف ينشرها فى هذه الطرق السليمة ، اننى أؤكد لك أن أعمالك ستنال ربحاً من لدن نعمة الله .

لذلك يا حبيبى ، إن كنت تتبع نصيحتى ، وتأخذ على عاتقك هذه الواجبات المقدسة بانتباه ، تأكد أنك فى وقت قصير ستصل الى النجاح وتصير روحانياً بالحق فى أفعالك الطبيعية

بدلاً من المخادعة ويكون لك اسم لأنك روحاني دون الواقع . فاعلم أن غضبك لنفسك وقهرك لذاتك هنا هما قانون لا يتغير . وهذا يتطلب عدم ارضـاء النفس حتى فى نظام الحياة الروحية . ان ارضـاء الذات إن دخل فى نطاق الأمور الروحية سيهلك كل الأعمال . لأن كل الأمور الروحانية الحقيقية تأتى من نعمة الروح القدس . وهذه النعمة لا تحل إلا على أولئك الذين قد صلبوا أنفسهم فى الآلام والحرمان الاختيارى ، غير مشفقين على ذواتهم إذ قد صاروا متحدين مع ربنا ومخلصنا ، المصلوب من أجلهم .



١٤

(ماذا تفعل إن أظهر لك العدو ان الارادة العاقلة خاضعة تماماً لارادة الأوجاع)

حرية الإرادة

إذا أحسست يوماً بمثل هذه الموجات العالية من الخطية ، حتى أن مقاومتها تبدو مستحيلة ، وقد أصيبت الحماسة التى تقاوم بها هذه العواصف بالخوار ، احذر أيها الأخ ، لا تنسحب من الجهاد ، بل انهض ذاتك وقف ثابتاً . انها حيلة العدو ، أن يجعلك تفكر أن المقاومة بلا فائدة ، مشتاقاً أن يزعزع ثباتك ويجعلك تلقى بكل أسلحتك ليجبرك على الاستسلام له . دع عقلك يستوضح هذه الحيلة ويكشفها جيداً فلا يخر . لأنه طالما أن ارادتك لم تمل نحو هذا الدافع الوجعى ، فأنت لم تزل بين المنتصرين والمحاربين المقاتلين للعدو ، حتى ولو كان الوجع طاغياً عليك . لا يوجد أى شئ ولا أى شخص يستطيع أن يسلب النصرة من يديك ، ويجبرك أن تسلك عكس ارادتك ، مهما كان هذا الشئ عنيداً أو ذاك الشخص قاسياً ومهما كانت ضراوة الحرب التى شنها أعداؤك . لقد أيد الله ارادتنا الحرة بالقوة الكافية حتى أنه

لو قامت ضدها سائر القوات والعالم كله ، وهجم علينا أجناد الشر لا يقدرون أن يجبروها على شئ معيَّن . انها دائماً متروكة حرة لترغب فيما يقدمونه اليها ويطلبونه منها إن أحبت هذا ، أو لا ترغب إن لم تحب .

تقوية الإرادة

ومن أجل هذا السبب ذاته تحمل ارادة الانسان مسئولية كل شئ وعلى هذا الأساس ستتقدم الى الدينونة . تذكر جيداً : أنه لا عذر لك - مهما شعرت انك ضعيف ومجهد - فى الميلان نحو شهوات الأوجاع . ان ضميرك سيقول لك نفس الشئ . لذلك فبقدر قوة الهجمات ينبغى أن تعد ذاتك لمقاومة أشد ولا تترك هذا العزم والتصميم مردداً فى مثل هذه الحالات كلمات قائد من قوات حروبنا : « **اسهروا.اثبتوا .. كونوا رجال تقووا**» ١ كو ١٦ : ١٣ . وهكذا إذ تحافظ على ثبات ارادتك ضد أمواج الخطيئة ، وتميل الى جانب مطالب الارادة العليا ، استعمل أسلحتك الروحية عملياً ، واحداً بعد الآخر . والأكثر أهمية هو الصلاة فاجعلها متنفسك : « **الرب نورى وخلاصى ممن أخاف ، الرب حصن حياتى ممن أرتعب ، ان نزل على جيش لا يخاف قلبى ، إن قامت علىَ حروب ففى ذلك أنا مطمئن** » مز ٢٧ : ١ ، ٣ . « لأنى على قوسى لا أتكل وسيفى لا يخلصنى ... **بالله نفتخر اليوم كله واسمك**

نحمد الي الدهر ، مز ٤٤ : ٦ ، ٨ لا تخافوا خوفاً ولا ترهبوا . قدسوا رب الجنود فهو خوفكم ورهبتكم . ويكون مقدساً ... احترموا وانكسروا ... تشاوروا مشورة فتبطل . تكلموا كلمة فلا تقوم لأن الله معنا، اش ٨ : ١٢ - ١٤ ، ٩ ، ١٠ .

استعدادات الحرب الروحية

وإذ قد انتعشت نفسك افعل ما يفعله المحارب فى المحاربات الطبيعية حينما تباغته الأعداء . فإنه يأخذ بضع خطوات الى الخلف لكى يجد مكاناً أفضل ونقطة ممتازة يستطيع منها أن يرى بوضوح كيف يسدد سهامه فى قلب العدو . هكذا أنت أيضاً ، اجمع أفكارك الى الداخل واسترجع مشاعر الاتضاع بأنك لا شئ ، وانك عاجز أن تقوم بذاتك الى ما تطلبه هذه اللحظة ، تضرع الى الرب ، الذى كل شئ مستطاع لديه - بحرارة الثقة والدموع - مستغيثا به ضد هجوم الأوجاع قائلاً : « قم عونا لنا وافدنا من أجل رحمتك » مز ٤٤ : ٢٦ . قاتل (يا يسوع) مقاتلي . امسك مجناً وترساً وانهض الى معونتى ... ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى . ليرتد الى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى » مز ٣٥ : ١ ، ٤ . « أيتها العذراء الطاهرة اسبلى ظلك السريع

المعونة على عبدك ، وابعدى أمواج الأفكار الردية عنى » يا ملاك حفظى استرنى بجناحيك أمام سهام العدو واقطعهم بسيفك وابعدهم عنى .

داوم على هذه التضرعات فتأتيك المعونة سريعاً ، وفى نفس الوقت انتبه جداً لنفسك . إن العدو يعرف قوة مثل هذه التضرعات لله ، لذلك يسرع كى يشوشها ويتلفها بمحاولة التذمر لا شعورياً ضد الله لأنه سمح للعدو بمثل هذه الهجمات الشديدة تلك التى اقتحمتك ، وجعلتك فى خطورة السقوط . وبهذه الطريقة يتوق العدو أن يمنع ويوقف التجاءك الى الله ويجعلك غير مستحق لمعونته . فمجرد شعورك بهذا التأثير الشيطانى ، اسرع باسترجاع يقينك بأن الله غير مجرب بالشرور وهو لا يجرب أحداً . ولكن كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته (يع ١ : ١٣ - ١٤) .

حينئذ افحص بالتدقيق فى أفعالك ومشاعرك وأفكارك السابقة ، وستجد أنها هى التى أثارت هذه الزوبعة الداخلية وجعلتك فى موضع الخطورة . لقد افترى العدو على الله وغطى تراخيك أنت . فينبغى أن تؤمن جيداً فى ذاتك وتسلم بعدل الله وألقِ عنك ستر الرياء الذى غطاك به العدو . عليك أن تلقى اللوم

على نفسك بسبب عدم تحفظك ، واشفاقك على ذاتك ، تب واعترف بخطيئتك الداخلية أمام الله ، وعد الى التضرعات التى أوضحناها فتعود معونة الله عليك ، لأن الله على استعداد دائم لمعونتك ، خصوصاً فى مثل هذه الحالات .

بعد ذلك ، عندما تخمد العاصفة الداخلية ، ينبغى أن يستمر القتال بحسب القواعد العامة للحرب الروحية كما ذكرت فى فصل سابق .

+ + +

١٥
ينبغي أن تستمر الحرب بشجاعة

إن أردت يا أخى أن تنال انتصاراً سريعاً وميسوراً على أعداءك ، عليك أن تشن حرباً بلا توقف وبشجاعة ضد كل أوجاعك ، لا سيما ضد حب الذات والتعلق الأحمق بنفسك الذى يتضح من تدليل الذات ، والاشفاق عليها ، لأن هذا أصل وأساس كل الأوجاع ولا يمكن تهذيبه إلا بالقصاص الذاتى العنيف والترحيب بالمظالم والحرمان والافتراءات والاضطهادات الآتية عليك من العالم ومن أهل العالم . إن الاشفاق على الذات هو السبب المباشر فى فشلنا فى الوصول الى الانتصارات الروحية ، وقلة هذه الانتصارات فى حياتنا ، وصعوبتها وتزعزعها راجع الى نفس السبب السابق .

لذا يجب أن تكون محارياتنا الروحية مستمرة بلا توقف . ومدعمة باليقظة وشجاعة النفس ، وهذه يمكن الوصول اليها بسهولة إن طلبتها كهبات من الله . فاستمر إذن فى المعركة بلا تردد . هل صادفتك الأفكار المتعبة عن كراهية العدو وخبثه الذى يضمره لك ؟ وهل روعك كثرة أجناد الشر ؟ فكر من ناحية أخرى فى قوة الله العظيمة ، وحبه لك ، كذلك فكر فى أجناد الملائكة السمائيين غير المحصيين ، وصلوات القديسين . فكل هؤلاء

يحاربون من أجلنا ومعنا سراً ، ضد أعدائنا كما هو مكتوب **«للرب حرب مع عماليق من دور الى دور»** (من جيل الى جيل) مز ١٧ : ١٦ . كم من نساء ضعيفات وأطفال صغار تأهبوا الجهاد حين فكروا فى هذه المعونة اليومية القوية! فتشددت أياديهم ، ونالوا نصرة أعلى من منطق بشرى وتفوق مكايد الشرير وسائر خداعات الجحيم . فلا تخف إذن إن كانت أمواج الأفكار تضايقك ، قائلة لك : إن العدو أقوى منك جداً وهجماته لا تحتمل أو أن الحرب ستستغرق كل فترة الحياة ، وانك لا تستطيع تجنب السقوط من كل الأنواع . اعلم أن أعداءنا وكل مكائدهم فى قبضة ربنا يسوع المسيح ، قائدنا الإلهى ، الذى تحارب أنت من أجل مجده وعظمته . وإذ يقودك فى المعركة بذاته ، فهو بالتأكيد لا يسمح باستخدام العنف ضدك ، ولا يشاء أن تكون مغلوباً من العدو ، ما لم تمل أنت بذاتك الى جانبهم بإرادتك . إنه يحارب عنك بنفسه ويدفع أعداءك ليديك متى شاء كما هو مكتوب:

« لأن الرب الهك سائر في وسط محلتك لكى ينقذك ويدفع أعداءك أمامك» تث ٢٣ : ٤ . فإن كان الله يتأخر فى منحك النصرة الكاملة على أعدائك ويؤجلها الى آخر يوم فى حياتك . فثق أن هذا من أجل خيرك شخصياً مادمت لم تتراجع أو تتوقف عن الجهاد من كل القلب . وحتى لو جرحت فى المعركة لا تلقِ بسلاحك بل عد الى القتال احتفظ بأمر واحد فى عقلك

وضميرك أن تحارب بكل غيرة وشجاعة إذ لا مفر منها . ولا يستطيع أحد أن يفلت من هذه المحاربات مدة الحياة . فالذى لا يحارب ليغلب أوجاعه وأعداءه . سيؤسر الى السجن حتماً حيث يسلم للموت .

من المفيد أيضاً أن تضع فى ذهنك الغرض الذى من أجله سر الله أن يجعلنا فى حالة الحرب ، وفى العهد القديم حينما قاد الله اسرائيل الى أرض الموعد لم يأمرهم أن يفنوا كل الشعوب الساكنين فيها بل ترك خمسة قبائل أجنبية معادية لاسرائيل وذلك للأسباب الآتية :

أولاً : كى يبرهن الشعب المختار على ثباتهم بالاعتقاد فيه وحفظ وصاياه بايمان .

ثانياً : كى يعلم شعبه فن المحاربة (قض ٢ : ٢١ - ٢٣، ٣ : ١ ،٢) من أجل هذين السببين ترك الرب فينا أوجاعاً تحارب ضدنا حتى الموت دون أن يهلكها فى الحال ، أى لنبرهن على تمسكنا بحب الله وطاعتنا لإرادته ولكى يدربنا على المحاربات الروحية .

إن ثاؤدورس الطوباوى يتكلم فى هذا بالتفصيل قائلاً : إن الله يسمح بهذا من أجل الأهداف الآتية : ✣ كى يحمينا من السقوط فى الاهمال والتوانى ويجعلنا على الدوام فى يقظة وحذر وانتباه.

✣ كي يذكرنا أن العدو على استعداد دائم ليهاجمنا لئلا نجد أنفسنا على غير توقع محاطين بالعدو مغلوبين بالأوجاع .

✣ كي نتطلع نحو الله دائماً سائلين وراجين معونته.

✣ كي لا نتكبر بل نفكر باتضاع في أنفسنا .

✣ كي نتعلم أن نكره أوجاعنا وأعداءنا المهاجمين لنا بلا هوادة لكرههم قلبياً .

✣ كي نبرهن على تمسكنا بمجد الله وحبه وإيمانه للنهاية .

✣ كي يحثنا ذلك على مراعاة وصايا الله بدقة ، ولا نغض الطرف عن أصغرها .

✣ كي نتعلم عن خبرة قيمة الفضيلة فلا نحيد عنها أبداً ساقطين في الخطية .

✣ كي تعطينا الحرب المستمرة امكانية الحصول على أكاليل أعظم وأعظم .

✣ كي نمجد الله ، ونخزي الشرير بصبرنا حتى النهاية .

✣ كي نتعود على الحرب أثناء الحياة ، فلا نخافها في ساعة الموت ، حينما نتعرض لأقصى الهجمات .

من أجل ذلك ، طالما نحن محاطون بأعداء كثيرين ،

يكرهوننا علانية ، فلا يمكن أن نتوقع أى سلام أو مهادنة أو إمهال أو تأخير فى الهجمات . بل علينا أن نكون مستعدين لأى هجوم فى أية لحظة ، ويلزم أن نصد العدو بشجاعة .

ومن الأفضل طبعاً ، أن لا نفتح على أنفسنا أبواباً يدخل منها العدو والأوجاع الى قلوبنا وأنفسنا ، ولكن إذا وجدنا طريقهم الينا ، فلا يمكننا أن نتراخى ، بل يجب أن نسلح نواتنا ضدهم كي نطردهم عنا ، انهم عنيدون وبلا حياء ، لا يتركوننا إن لم يطردوا بالقوة .

+ + +

١٦
كيف يتجهز محارب المسيح في الصباح للقتال

بمجرد أن تنهض فى الصباح ، صلى قائلاً : « ياربى يسوع المسيح ، ابن الله ، ارحمنى» ، وليكن عملك الأول هو أن تغلق على ذاتك فى قلبك ، كى تأخذ وضع الاستعداد فى ساحة القتال . وإذ حصنت نفسك هناك . ارهف شعورك لتحس بعدوك ، الحسيات الرديئة ، التى تحاربك فى كل وقت . مستعدة هناك عن شمالك ومتأهبة لهجوم مفاجئ ، فانهض ضدهم بعزم ثابت بأنك إما أن تهزمهم أو تموت ، ولا تسلم أبداً . تحقق أيضاً أن قائدك واقفاً عن يمينك بصورة غير مرئية » ربنا يسوع المسيح ، مع أمه القديسة وطغمات الملائكة القديسين مع رئيس الملائكة ميخائيل ، مستعدين لمعونتك ، لذلك فليتشدد قلبك وكن طيب النفس .

أنظر ، ان رئيس العالم السفلى (الشيطان) قائم ضدك بقوات شره ، وابتدأ يلهب نيران الأوجاع ويزيدها اضطراماً ، محاولاً أن يخدعك بوعود شتى مشحونة رياءاً من جهة الاشفاق على الذات ، كى يوقف جهادك ضد هذا الوجع ، ويجعلك تستسلم له مؤكداً لك أن هذا الاستسلام هو أفضل حل بالنسبة لك أما أنت فيجب عليك أن تتيقظ فى ذاتك مستلهماً من الجانب اليمين انذار ملاكك الحارس ، فهو يتحدث عن كل من هم

عن يمينك قائلاً : « أنت الآن في مواجهة معركة ضد أوجاعك وأعداء آخرين ، لا تخف ولا ترهب ، ولا تجعل الرعب سبباً فى هرولتك هارباً من ميدان القتال . لأن القائد ، ربنا يسوع المسيح قريب منك يحيط به القواد والرؤساء والجيوش غير المتجسدة ، وكل طغمات الملائكة القديسين ، مستعدين أن يحاربوا أعداءك معك فلا تنهزم لهم كما فى الوعد : **الرب سيحارب عنكم** (حز ١٤ : ١٤) فاثبت إذن ، واغصب نفسك على عدم الاستسلام وليكن اشتياقك الصمود أمام التجربة التى داهمتك بكل الوسائل الممكنة داعياً من عمق قلبك « **لا تسلمنى الى مرام مضايقى**» (**مز ٢٧ : ١٢**) . تضرع لربك ، وتشفع بالسيدة العذراء القديسة وبكل الملائكة والقديسين ، ولا بد أن يأتى العون ، وتكون منتصراً لأنه مكتوب « **اكتب اليكم أيها الأحداث (الجنود الشجعان البواسل) لأنكم قد غلبتم الشرير**» (١ يو ٢ : ٣) ربما تكون ضعيفاً ، ومربوطاً بعادات سيئة ، فى حين أن أعداءك كثيرون وأقوياء ، ولكن عندك أنت معونة قوية ، ومن ذاك الذى خلقك وفداك . تذكر أنه لا شئ فى المعركة يضارع قوة الله الذى يحميك كما هو مكتوب : « **الرب القدير الجبار . الرب الجبار فى القتال**» (مز ٢٤ : ٨) .

وفوق كل هذا تيقن أن رغبة الله فى انقاذك تفوق كثيراً جداً

رغبة العدو في هلاكك فجاهد إذن ولا تكل من مشقات هذا القتال، لأن النصرة تكتسب من هذه المشقات باخضاع ذاتك بالقوة ، وغصبها بلا رحمة للابتعاد عن العادات الرديئة ، رغماً عن الألم ، فهكذا يكون لك كنزاً عظيماً فتقتنى ملكوت الله ، وتتحد نفسك مع الله الى الأبد .

هكذا ، ابدأ جهادك مع الأعداء كل صباح باسم الله ، متسلحاً بعدم الاعتماد على ذاتك ، وبرجاء شديد فى الله ، وبصلاة ، واغصب نفسك بلا رحمة على الأعمال الشاقة المناسبة وفوق كل شئ متسلحاً بصلاة العقل فى القلب : « **يا ربى يسوع المسيح ارحمنى !** » مستخدماً إياها كسيف ذى حدين فى القلب فإن هذا الاسم يزعج الشيطان ويحطم الأوجاع ، ويبعدهم عنا . هذا هو سبب قول يوحنا الدرجى « اربط الأعداء باسم ربنا يسوع» وسنتحدث بمشيئة الله عن هذه الصلاة فى فصل مقبل .

وأكرر أيضاً أنه مع هذه الأسلحة ، اقطع ذاك العدو ، ذاك الوجع ، ذاك الميل الشرير الذى يهاجمك بالطريقة الموضحة فى الفصل الثالث عشر ، أى ، عارض شهوتك الرديئة أولاً ، بعد ذلك أكرهها وأخيراً مارس الفضيلة المعارضة لها عاملاً كل هذا فى جو الصلاة ، فيكون نشاطك مُرضياً عند الله المتطلع اليك من

السماء متابعاً جهادك بصورة غير مرئية ، كى يتمجد فى جهادك وفى انتصارك أيضاً .

ان هذه القتالات شاقة ومتعبة بدرجة كبيرة ولكن لا تحزن ولا تضر فى واجبك بل ضع فى ذهنك أن هذا واجب علينا ، أن نرضى الهنا هذا من جهة ، ومن جهة أخرى - كما قيل من قبل - ان الحرب لا مفر منها إن أردنا أن نحيا ، لأنه بمجرد توقفنا عن الحرب سنضرب مباشرة للموت .

فلا يضللك العدو بالقول : « جارى شهواتك الرديئة ولو لمدة ساعة ، ساعة فقط » بل تبصر فيما ستصير اليه لو ابتعدت حياتك عن الله ، وتركت نفسك للملذات العالمية والمتع الجسدية ولو لدقيقة واحدة ، يا للأهوال التى ستلاقيها آنذاك ، إنه لأمر مخيف حقاً . وهل ستكون الساعة فقط ؟ إن الاحتمال الأرجح أن تمر ساعة بعد ساعة وأنت فى ارتدادك بعيداً عن الله ، من يوم الي يوم ، ومن سنة الى سنة .

ثم ماذا بعد هذا ؟ حتى لو رحمك الله وأعطاك فرصة للرجوع الي نفسك كى تتخلص من فخ هذا الشر ، مستيقظاً من نعاس الخطية ، سيكون عليك أن تواجه نفس المعركة التى هربت منها حين طلبت الراحة لذاتك ، مع اختلاف واحد هو أن المعركة ستكون أشد ضراوة وقساوة ، بالاضافة الى كونها أقل نجاحاً .

ولكن إذا تركك الله فى أيدى أعداءك ولمشورة نفسك فماذا اذن ... سوف لا أكرر الكلام مرة أخرى ، ولكن سأكتفي بالقول: تذكر فقط ماذا سيكون بعد حياة ضائعة فى رباطات شهوات الشر ، وبعد الزمان الذى تلذذت فيه الحواس بعيداً عن الفرح الحقيقى .... ستأتى ساعة الموت فجأة - وتكون النفس فى حالة ذعر وفزع ، تلك الحالة التى حتى كلمة الله لم تصفها إلا بمجرد القول : حينئذ يصرخون للجبال **اسقطي علينا** (رؤ ٦ : ١٦) يصرخون بعد الموت حتى نهاية العالم الى ساعة الدينونة الأخيرة ولكن بلا جدوى .

لذلك تعقل ، ولا تلق نفسك بمعرفتك فى عذاب الجحيم الأبدى كى تتجنب قتال قصير الزمن وممارسة الأعمال الروحية إن كنت فهيماً وفطناً فمن الأفضل لك الآن أن تتحمل أعباء ومشاق الجهاد الروحى كى تهزم أعداءك وتنال اكليلاً لا يفنى ، وتكون متحداً مع الله هنا وفيما بعد - فى ملكوت السموات .



١٧
بأى نظام ينبغي أن تحارب أوجاعك ؟

من المفيد جداً يا أخى أن تعرف جيداً بأى نظام ينبغى أن تحارب أوجاعك كى تقوم بهذا العمل كأحسن ما يكون ، بدلاً من التخبط العشوائي كما يفعل بعض الناس ، دون نجاح يذكر بل أحياناً يضرون أنفسهم . ان التدبير الذى به تحارب أعداءك ، وتقاتل شهواتك وأوجاعك الرديئة هو الآتى :

✢ أدخل الى قلبك وافحصه بانتباه ودقة لتعرف بأى أفكار وأهواء وأوجاع يرتبط وأى منها تشغله بنوع خاص ، وأى الأوجاع متسلطة ومتحكمة بطغيان أكثر .

✢ بعد ذلك تسلح أولاً وقبل كل شئ ، ضد هذا الوجع كى تتغلب عليه . وعلى هذا الوجع ركز كل انتباهك وتحفظك .

✢ فى الأوقات التى فيها تثور بعض الأوجاع الأخرى ينبغى أن تهتم بها على الفور .

✢ وبعد أن تبعده عنك بعيداً ، تعود مرة أخرى بكل أسلحتك ضد الوجع الرئيسى الذى دائماً يثبت وجوده وقوته . لأنه مثل كل نوع من المحاربات الروحية ، هكذا فى معركتنا غير المنظورة علينا أن نحارب ضد المهاجمين فى اللحظة الحالية .

١٨
كيف تحارب ضغطات الأوجاع المفاجئة

يا حبيبى ، إن كنت لم تتعود بعد أن تغلب ضغطات الأوجا ع المفاجئة التى تقتحمك . حين تثور مثلاً عن طريق إهانات أو احتكاكات ، إنى أنصحك أن تفعل هكذا : تدرب كل صباح ، وأنت لم تزل فى البيت ، على أن تستعرض فى ذهنك كل المواقف المحتمل أن تقابلها أثناء النهار سواء كانت مواقف حسنة أم مواقف سيئة . وتمثل فى ذهنك ضغطات الأوجا ع والشهوات والمثيرات التى ربما تهيج فيك ، حينئذ أعدد فى نفسك قبل الوقت كيف تخمدها من أول بدئها دون أن تسمح لها بالاستمرار . إن فعلت هذا ، فسوف لا تؤخذ على غرة بأى حركة من حركات الأوجا ع بل ستكون مستعداً بأن تقاومها ، فلا غضب مفاجئ يزعجك ، ولا إغراء شهوة تحدث لك اضطراباً .

إن هذا التدريب - أى استعراض المواقف المحتمل وقوعها لا بد منه خصوصاً حينما تتأهب للقيام كى تذهب إلى الأماكن التى تضطرب منها ، أو لتقابل الأشخاص الذين يستميلوك أو يثيروك . بهذا الاستعداد سيسهل عليك أن تتحاشى كليهما . وإن ثارت موجة من الوجع فستعبر فوق رأسك ، أو تتحطم عندك كما على صخرة ، ولكنها لا تحملك معها كالقارب الرقيق . وهوذا النبى

المختبر داود يقنعك بهذا فقد قال من جهة الغضب : **اسرعت (استعديت) ولم أتوان لحفظ وصاياك** (مز ١١٩ : ٦٠) .

ولكن هذا الاستعداد ، ليس هو كل شئ . ان الأوجاع لم تزل قادرة على الاقتحام المفاجئ . فى هذه الحالة افعل ما يلى : بمجرد أن تشعر بضغط وجع سواء لشهوة أو استثارة . اسرع فى قمعها بمحاولات الارادة ، انزل الى قلبك بانتباه العقل ، وحاول بكل الطرق الممكنة أن لا تدع الوجع يدخل الى القلب . انتبه لتمنع اثارة قلبك بالمثير ، وتعوق انجذابه للجذاب. وحتى إن حدث أحد الأمرين فجأة ، وتولد فى القلب ، ابدأ فى منعه من الخروج خارجاً (إن أحسست بالغضب مثلاً فى القلب) فلا تعبر عنه سواء بكلمة أو نظرة أو اشارة .

بعد ذلك اغصب عقلك وقلبك أن يرتفعا الى الله فى الأعالى وحينما تستعيد صفاء ضميرك ، وشعورك بحب الله غير المحدود وحقه العادل ، حاول أن تتقيأ حركة الوجع ليحل محلها الخير المضاد .

ربما يصعب إتمام ذلك بدقة ونجاح ، إذا كانت المسألة مواجهة مع شخص ما ولكن لا تتوانى طالما نيتك حسنة ، وحاول أن تفعل قدر استطاعتك ، فحتى لو فشلت مرة وفى ذهنك هذا التدريب فسيأتى الوقت الذى تتخلص فيه من هياجات الأوجاع .

ولكن احرص جداً أن لا تظهر الوجع الذى يثور فى داخلك، لأنك بهذه المحاولة ستمنع تقدمه . وبمجرد ما ينتهي تيار الضغطات الشريرة ، اسرع بالدخول الى قلبك واطرد الحية التى زحفت ووجدت طريقها الى قلبك .

ولكن أكفأ وأفضل حماية ضد اثارات الأوجاع فجأة ، هو التخلص من المسببات المولدة لهذه الحركات دائماً . هذه المسببات على نوعين : محبوبة ومكروهة .

إن كنت يا حبيبى متعلقاً ومأسوراً بحب لشخص ، أو ارتباط مع أحد مهما كان كبيراً أم صغيراً ، فمن الطبيعى أنك ستثور حين تتقابل مع مثل هؤلاء ، أو تراهم مهانين أو قد لحقهم ضرر ، أو أن أحد يريد إبعادهم عنك وسرقتهم منك . فهذا يجعلك تثور وتضطرب وتتعارك مع الذين يفعلون هذه . لذلك إن أردت أن تتحرر من هذه المعكرات المفاجئة فاحرص أن تتغلب على هذا الانجذاب وتقتلع من قلبك ذاك الارتباط الخاطئ . وبمقدار ما تنفض يديك وتبعد نفسك عن هذا بمقدار ما يكون ذهنك متزناً ، وتصل الى الاعتدال والتعقل بالنسبة للأشياء والناس . وكلما قويت انجذاباتك وارتباطاتك كلما زادت حالات اثاراتك المفاجئة كما أوضحنا .

بنفس الطريقة إن كنت تحس بكراهية نحو شخص ما أو

نفور من شئ ما فمن الطبيعي أن يثار فيك مشاعر الحنق والضيق فجأة إن قابلته ، وعلى الأخص إن سمعت أحدهم يمدحه . لذلك ، إن أردت أن تحتفظ بسلام قلبك في مثل هذه الحالات أقصر ذاتك على إخماد هذه المشاعر الرديئة ، ثم ابادتها جميعاً .

يساعدك على هذه الأفكار الآتية : بالنسبة للناس ، اعلم أنهم خليقة الله ، مخلوقون مثلك على صورة الله ومثاله وبملء اليد القوية التي لله الحي . انهم مفديون ومجددون بدم المسيح ربنا الثمين . فهم اخوتك وأعضاء مشاركة معك ، فمن الخطأ أن تكرههم حتى في فكرك كما هو مكتوب « **لا تبغض أخاك في قلبك** » (لا ١٩ : ١٧) عليك أن تتذكر هذا بنوع خاص حتى لو بدا لك أنهم مستحقون للكراهية والازدراء . فإنك إن أظهرت لهم صداقة وحباً تكون بفعلك هذا متشبهاً بالله الذي يحب خليقته كلها ولا يحتقر شيئاً منها كما يقول سليمان الحكيم في تمجيد الله : **لأنك لا تحب الموجودات كلها ولم ترذل شيئاً مما خلقت ولا بغضت شيئاً مما خلقته** (حكمة ١١ : ٢٥) وبالرغم من خطايا البشر فهو **يشرق شمسه علي الأشرار والصالحين ، ويمطر على الابرار والظالمين** (متى ٥ : ٤٥) .



+ + +

انتهى الجزء الأول من الكتاب وتتبعه أجزاء أخرى

فاحرص على اقتنائها لكى تجعلها فى مجلد واحد

+ + +

أودع بدار الكتب تحت رقم ٤٩٦٤ لسنة ١٩٧٠



تطلب من كنيسة مارجرجس بأسبورتنج ت : ٥٩٦٩٨٨٨ (٠٣) فاكس :٥٩٥٢٨٨٨ (٠٣)